د. محمد عبده يماني

صلى الله عليه وسلم

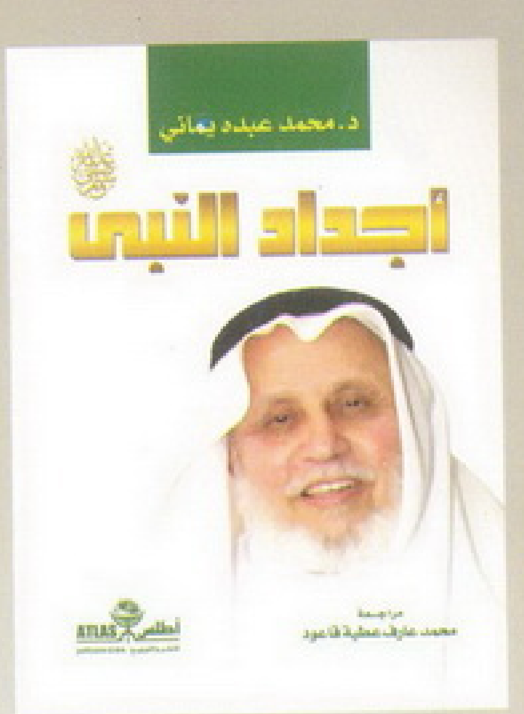
أجداد النبي



مراجعة
محمد عارف عطية قاعود







كان محمد عبده يمانى نبع خالص صافى لحب الله ورسوله وكان وجهه مرآة تعكس أنوار هذا الحب ولسانه بوق ينطق بهذا الحب وخطواته مُسخَّرة للدعوة لهذا الحب وقلمه يخط كلاماً يأمر بهذا الحب " علموا أولادكم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم " ، وقلبه المخلص السليم وعاء مملوء بحب الله وحب رسوله وحب آل بيته وحب صحابته وحب أمته ، فطوبى لك بهذا الحب أن تحشر مع حبيبك رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: " يحشر المرء مع من أحب " .

محمد عارف

الدكتور/ محمد عبده يماني



مراجعة

محمد عارف عطية قاعود



الكتاب: أجداد النبي ﷺ
إعداد: د/ محمد عبده يماني
مراجعة: محمد عارف عطية قاعود
رقم الإيداع: ٢٠١١/٩٨٨٥
الناشر: أطلس للنشر والتوزيع
إدارة النشر: ٤٩ ش المقريزي - مصر الجديدة - القاهرة
تليفون: ٢٢٥٩٩٥٩٨ - فاكس: ٢٢٥٩٩٥٩٧
التوزيع: ش السيد الدواخلي - أمام باب جامعة الأزهر بالحسين
تليفون: ٠١١٠٢٠٧٣٧٦



الطبعة الأولى
جمادى الأول ١٤٣٢ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

محمد عبده يماني

M. A. Yamani

(تفويض)

نفوض السيد الأخ / محمد راضي علي (شركة أطلس) لطباعة كتاب " أجداد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم "للدكتور / محمد عبده يماني ، ومراجعة السيد / محمد عارف عطية.

وهذا تفويض منا بذلك.

والله الموفق ،،،



ياسر محمدعبده يماني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المراجع

الحمد لله الباقي الدائم الحي القيوم

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان به، وشرفنا بالإسلام له، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد منَّ الله سبحانه علي بأن رافقت فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي العشرون سنة الأخيرة من حياته حتى صار إخوانه إخواني، وأصدقاءه أصدقائي، وتلاميذه ومريديه أحبابي.

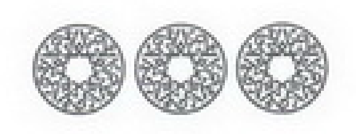
وكان ممن أحبهم الشيخ رضي الله عنه وأحبته معه فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد عبده يماني، ودامت هذه المحبة في الله والصداقة النقية بعد وفاة الشيخ الشعراوي -رحمه الله- بيني وبينه وبين أولاده، وقد جمعتنا هذه المحبة في الله لعلاقات شخصية وأسرية بالإضافة لعلاقة خاصة جداً جمعتني به ألا وهي الحب الخالص المخلص لله، ورسوله، وآل بيته، وصحابته وتابعيه إلى يوم الدين، أعرض عليه مؤلفاتي قبل وبعد طباعتها وهو كذلك وقبل وفاته بشهور عرض عليَّ كتابه أجداد النبي ﷺ، ومنحني شرف قراءته قبل طباعته، ورخصَّ لي بإضافة ما أشاء في

أي من فصول الكتاب، إلا أنني بعد وفاته تحرجت من ذلك، وأصبح عندي أمانة منه عليَّ ردها إلى الناس ألا وهي نشر هذا الكتاب براً له، ورداً لجميله ومعروفه، ووداداً له بعد وفاته.

وكنت قد أعددت فصلاً لإضافته للكتاب، فلما تحرجت من ذلك بعد وفاته رأيته في رؤيا منامية في خير حال وسرور، وقال لي: أضف هذا الفصل للكتاب ودع الباقي كما هو. وهو ما فعلته، وأرجو من الله له العفو، والمغفرة، والرحمة، والمنزلة الكريمة، وأرجو أن يلحقنا الله برسوله ﷺ إذا صرنا إلى ما صار إليه، وأرجو لك أيها القارىء الكريم أن ينفعنا وينفعك بهذا الكتاب، وأن تشملنا جميعاً بركة رسول الله ﷺ وبشفاعته نلحق بمن ذكرهم الله في كتابه: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء،٦٩).

وكتبه

محمد عارف عطية



لماذا هذا الكتاب

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وبعث إلينا خير الأنام سيدنا محمد، الذي بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.. وقد جعله الله سبحانه قدوة، وأسوة، ومعلمًا، وهاديًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً. قد اصطفاه الله من صلب آدم عليه السلام ولم يزل ينتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزاكيات حتى ولد من آمنة وعبد الله، فخير الآباء آباؤه، وخير الأمهات أمهاته، وجده إسماعيل فهو عربي، وجده من قريش فهو قرشي، فهو من خير فروع العرب، ومن خير فروع قريش فهو خيرة من خيرة..

وقد جاء التوجيه الرباني ليربط محبة الله عز وجل باتباع هذا النبي الكريم، ومحبة العبد لربه عز وجل تبدأ بمحبة رسوله واتباعه، وبذلك يصل العبد إلى محبة الله ومغفرته. قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١).

ولهذا فنحن مطالبون بتنفيذ أمر الله تبارك وتعالى بأن نسير على هدي هذا النبي الكريم، والرسول العظيم ونقتفي آثاره، وأن نُقبل عليه، ونحبّه، ونجله، ونتدبر

سيرته، ونهج منهجه؛ لأنه الرحمة المهداة من رب العالمين للعالمين جميعًا. وقد جاء في الحديث: «**من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة**»(١).

ولا شك أن من أهم أسباب المعرفة عنه صلوات ربي وسلامه عليه قراءة سيرته العطرة، والنظر فيما أكرمه الله سبحانه وتعالى به من فضل، وكرم، وشجاعة، وفصاحة، وخلق عظيم، وما أجرى الله على يديه من معجزات، فليس هناك معجزة لنبي، أو رسول إلا أوتي مثلها أو أفضل منها، وما كان له من عصمة، إضافة إلى النسب الشريف الذي تنقل به فكان (خياراً من خيار)، من لدن أبينا آدم عليه السلام، إلى والده عبد الله بن عبد المطلب متنقلاً بأمر الله وحكمته ورعايته في أصلاب هذا النسب الطاهر الشريف.

ولهذا فقد حرصت على وضع هذا الكتاب مذكِّرًا بأهم جوانب هذا النسب الشريف.. وأنا أشعر أن معرفة السيرة النبوية مهمة جداً، ومعرفة هذا الجانب منها تحديداً من الجوانب المهمة فيها، فهو ضرورة لكل مسلم حتى يتعرف على من هو الأسوة الحقة، والقدوة المثلى فيتأسى بها سعيداً بتأسّيه، مفاخراً به، مطمئناً إليه، فمعرفة سيرته من لوازم محبته، ومعرفته لازمة لمحبته، ومحبته لا يكمل الإيمان إلا بها.

وقد بدأت الكتابة بعد أن حثني عليها أخي المحب الدكتور الإنسان عمر عبد الله كامل، وقد لامست هذه الرغبة أمنية في نفسي طالما تمنيت تحقيقها. فأخذت أجمع أطراف الموضوع وما يؤدي إليه بأيسر ما يكون وأوضح ما قدرت عليه.. وأنا فرح بهذا لأنني أشعر في قرارة نفسي بأن واجب الكتّاب، والعلماء، والفقهاء، وذوي الفكر أن يقوموا بالكتابة في السيرة النبوية بأساليب مختلفة، ومتجددة

(١) فيض القدير للمناوي (٥٢/٦) رقم ٨٣٤٦.

وميسرة.. وبلغة تصل إلى عقول الشباب والناشئة، ملامسة شغاف قلوبهم لتربطهم بهذا النبي الكريم، وسريته وسيرته أصحابه الذين تتلمذوا على ما كان عليه فكانوا خير ترجمان لما جاء به وكان عليه.. فيتمسكوا بمنهجه، ويطبقوا شريعته فيصبحوا بذلك من السعداء الفائزين.

ولقد وجه الله سبحانه وتعالى سيدنا محمداً صلوات ربي وسلامه عليه أن يقص علينا سيرة من سبقه من الأنبياء والمرسلين لكي نعيها، ونتدبرها قال عز من قائل: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾ (يونس، ٧١). وقال: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الشعراء، ٦٩)، وقال: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ (المائدة، ٢٧). إلى ما هنالك من آيات كثيرة تأمره وتأمرنا بتلاوة قصص الغابرين.. فقال جل شأنه وعظم سلطانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف، ١١١). وقال جل شأنه: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ (طه، ٩٩).

وهذا واجبنا نحن أيضاً تجاه سيرة سيد البشر أجمعين صلوات ربي وسلامه عليه وهي الأغنى، وهي الأهم، وهي الأعم والأشمل بطبيعة الحال لأن الأنبياء السابقين كانوا يبعثون لأقوامهم خاصة، أما رسولنا صلوات ربي وسلامه عليه فقد أرسل للعالمين جميعاً؛ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (سبأ، ٢٨). ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء، ١٠٧)؛ لذا كان لزاماً علينا العودة إليها دائماً مذكرين، ومنبهين ومكتشفين من أسرارها ما نستفيد به.

وقد ألف أهل العلم والمحبون لسيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه في جوانب عديدة من سيرته العطرة.. فمنهم من تكلم عن نشأته، أو مغازيه، أو بعثته.. ومنهم من ركز على شمائله، ومنهم من جمع بين هذا وذاك.. وكما قال الشاعر رحمه الله:

وكلهم من رسول الله ملتمسًا غرفًا من البحر، أو رشفًا من الدّيم

ولقد حاولت في هذه الدراسة أن أركز على النسب النبوي الشريف، لأنني أرى أن الأمر يقتضي ذلك لما لذلك النسب الطاهر الشريف من أصالة أصيلة، وعراقة نبيلة، ومن صفاء معدن، وكريم نِجار، ونبل مناقب، وكرم محتد، وسلامة نشأة، ونقاء فطرة، وطيب عشرة، وصدق عمل، وإخلاص نيَة، فهو صلوات ربي وسلامه عليه الحسيب النسيب، السيد الطاهر .. العربي الأرومة والمنحدر، جاء من أصلاب طاهرة، ومن أرحام حرة كريمة، فهو كما أوحى له ربه عز وجل أن يقول منبهًا إلى هذا ومرشداً إليه محدثًا بنعمة ربه عز وجل الذي منّ عليه وعلينا وعلى البشرية جميعًا بأن أتى به من تلك الأصلاب الطاهرة التي تناسب ما جاء به من الحق والرحمة للعالمين جميعًا فقال: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»**(١).

وختامًا فإنني أسأل الله عز وجل حسن القبول لهذا العمل الذي أقدمه بين يدي السيرة النبوية الطيبة الطاهرة، فإن أصبت فالحمد لله، وما ذلك إلا برضاه وتوفيقه ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾، وإن أخطأت أو قصرت فيما اجتهدت فأسأل الله ألاّ أحرم الأجر مستغفراً ربي عز وجل عن كل خطأ وتقصير، فهو سبحانه أعلم بالنوايا، وهو من وراء القصد، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د/ محمد عبده يماني

---

(١) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ -آدم فمن سواه- إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»** الترمذي (٣٦١٥) ابن ماجه (٤٣٠٨). وقد أخرجه الترمذي مطولاً رقم (٣١٤٨).

النسب عند العرب

لعله من نافلة القول أن نفيض في النسب عند العرب، وأهميته ومكانته.. فليست هناك أمة من الأمم قد اهتمت بأنسابها وحفظتها وتناقلتها كالأمة العربية، وبخاصة ما كان منها في الجاهلية، فقد كان التفاخر في الأنساب شغلهم الشاغل، والعِلمَ الذي أتقنوه كُل الإتقان، وصرفوا فيه جلّ اهتمامهم.. وتحفظ لنا كتب التاريخ مئات الأمثلة الواضحة، والقصص والروايات الموثقة.. ناهيك عن الشعر الذي هو ديوانهم.. فقد سجل الكثير عن اعتزازهم بأنسابهم، إذ أن معظم أشعارهم كانت في الفخر والاعتزاز بالنسب.. حتى إنهم كانوا يغارون على الأطلال التي سكن بها أسلافهم، ويعتزون بذكرها لأنها أماكن أجدادهم ومبعث افتخارهم، وتعدى ذلك إلى خيولهم التي حفظوا أنسابها، ولا يزال حتى أيامنا هذه حفظ أنساب الخيول قائماً، وهو فيما نرى مأخوذ عن أولئك العرب، ولعل مبعث ذلك أنهم كانوا يرون أنسابهم فوق الأنساب بما كان لجزيرتهم من تكريم باختيارها موطناً للرسل والأنبياء، وأن فيها بيت الله العتيق الذي عرفوا مكانته حق المعرفة منذ أن شاءت حكمة الله تبارك وتعالى أن يكون في قلب هذا المكان.

ومما يدل على أن الفخر بالأنساب كان علمًا له رجاله المتخصصون، وأعلامه المشهورون قول رسول الله ﷺ لشاعره حسان بن ثابت -حينما أراد أن يتصدّى للمشركين مدافعًا عن رسول الله ﷺ- ما معناه «**اذهب إلى أبي بكر فإنه أعلم قريش بأنسابها**»[1].

ولأن الفخر بالأنساب قد تجاوز حدَّه فقد صرف الإسلام اهتمامهم عنه إلى الاهتمام بالتقوى، والعمل الصالح حينما قال ﷺ لأقرب الناس وأحبهم إلى قلبه، وأدناهم نسبًا منه ودارًا بعد أن عدّدهم واحدًا واحدًا إلى أن قال والحديث مشهور معروف: «**يا فاطمة بنت محمد اشتري نفسك لا أغني عنك من الله شيئًا**»[2]. مؤكدًا لهؤلاء

---

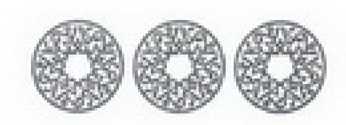
(١) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**اهجوا قريشًا فإنه أشد عليها من رشق بالنبل**، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: «**اهجهم**» فهجاهم فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالكٍ، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق! لأفرينَّهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، فإن لي فيهم نسبًا**» فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول الله! قد لخّصَ لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنَّك منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «**إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله**» وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هجاهم حسان فشفى واشتفى**» وذكر الأبيات. مسلم (٣٦٩٥-١٥٧-٢٤٩٠) وللحديث رواية أخرى للبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، يا أم الزبير بن العوام عمة رسول الله ﷺ، يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله، لا أملك لكما من الله شيئًا، سلاني من مالي ما شئتما**» (البخاري (٣٥٢٧).

وفي رواية أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ قال: «**يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئتِ من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا**» البخاري (٤٧٧١) مسلم (٥٠٤-٣٥١-٢٠٦) الترمذي =

المقربين الأقربين جميعًا «**لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم**»، وليس يعني هذا عدم الاهتمام بالأنساب، فرسول الله ﷺ الذي لم يقل إلا حقا ذكر نسبه فقال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1]. أي لا أقول ذلك فخرا إنما أقوله بيانا للحقيقة، وتحدثا بنعمة الله.

فحفظ الأنساب والمحافظة عليه فطرة فطر الله عباده عليها، وحسبنا هنا الإشارة إلى أهمية الفخر بالأنساب عند أمة الأنساب لتكون لنا مدخلا إلى نسبه الشريف صلوات ربي وسلامه عليه.



= (٣١٨٥) النسائي (٣٦٧٦)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) قام رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «**يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم**» مسلم (٥٠٣-٣٥٠-٢٠٥)، الترمذي (٣١٨٤)، النسائي (٣٦٧٨).

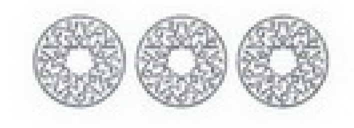
(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ -آدم فمن سواه- إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. الترمذي (٣٦١٥) ابن ماجة (٤٣٠٨). وقد أخرجه الترمذي مطولا رقم (٣١٤٨).

ما ورد من الأخبار عن أجداده ﷺ

ليس من أحد لديه أدنى اهتمام بالرسل والأنبياء، وبتاريخ الأمم وسير الرجال إلا ويعلم أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو الأول بين الرجال.. وهو الأهم عبر تاريخ الإنسانية الطويل.. وأن هذا البشر الرسول كانت له جذوره المعمقة، وأرومته الفائقة في تاريخ البشرية.. رسول هذا شأنه جاء رحمة رب العالمين للعالمين لا بد أن الله قد نقله في الأصلاب الطاهرة، وهيأ له الأجداد الكرام الذين كانوا كرام أقوامهم، ومثار الإعجاب بهم لما كانوا عليه من شهامة، ومروءة، وخصال كريمة فطرهم الله عليها، لا سيما وأن التوراة والإنجيل قد بشرا به، وحددا صفاته التي خصه الله بها، وكان يعلمها أهل الكتاب وغيرهم من العرب وتوارثها مَنْ بعدهم حتى وصلت إلى مَنْ كانوا يعاصرونه صلوات ربي وسلامه عليه، وهي كثيرة ومعروفة - كعبد الله بن سلام وورقة بن نوفل - وغيرهما.

ولقد تعددت السير التي تحدثت عنه، وليس يخلو تاريخ، أو معجم، أو فهرس

إلا وتشرف بذكر سيرته.. وتناول أجداده بالذكر مختصراً أو مفصلاً، ونحن إذ نضع بين يدي القارئ الكريم هذه الدراسة الموجزة التي أردنا بها التذكير دون التفصيل - كما أسلفنا - لا يسعنا إلا أن ننقل للقارئ معلومة متواضعة عن أجداده صلوات ربي وسلامه عليه، ولقد آثرنا أن تكون البداية منه، ومن أبيه الأول عبد الله بن عبد المطلب لأنه خير مُبْتَدَإ.. إلى أن ننتهي بالقارئ الكريم عند جده عدنان، المتفق والمُسَلَّم على صحته ودقته، ثم نبدأ بجدوده الأربعين من لدن آدم عليه السلام أبي البشر، وأول الأنبياء، وهو خير ما يُبْتَدَأُ به حتى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.



النسب الشريف

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو عبد الله ورسوله ورحمته للعالمين، وهو رجل الإنسانية الأول في كل ما يخص الإنسانية، وما يُعزّها ويُسعدها عبر كل زمان وفوق كل مكان.. رجلٌ هذا شأنه، وتلك رسالته لا بد أن يكون قد اختار الله له أكرم النسب وأشرفه ليظل بكل ما كان منه رجل هذه الإنسانية ورحمتها وهاديها ومنقذها.. ولا يذهب عنك أن شرف النسب لا يدل على التوحيد وإن دل على مكارم الأخلاق وجلائل الأعمال.

وهل ينبت الخطيّ إلا وشيجه   وتزرع إلا في منابتها

وليس في هذا غلوٌ، وليس فيه مبالغة.. فلم تتحدّث الإنسانية عبر تاريخها الطويل عن رجل كما تحدثت عن محمد صلوات ربي وسلامه عليه.. ولم ينلْ رجلٌ من اهتمام العالم كلّه بحثًا، وتدقيقًا، ودراسةً، وتحليلاً، وتعظيمًا كما ناله هذا الرسول الكريم، ولسنا نرى حاجة هنا إلى أن نسوق الأدلة على هذا فله مقام آخر ودراسة موسعة نسأل الله أن يعين على إنجازها، فقد كُتبت عنه وعن سيرته العطرة

مئات المجلدات ليس من أتباعه وأحبابه فحسب.. إنما من جميع المنصفين في العالم كله وفي كل اللغات.. ويكفينا القول هنا: إن كتاب المئة الأوائل في تاريخ البشرية والذي صدر في عصر النور والعلم والمعرفة الدقيقة والثقافة الواسعة أجمع مؤلفوه الأميركيون على أن أول الأوائل في تاريخ هذه البشرية هو محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.. ولم تزل تطالعنا الدراسات من كل مكان بأن هذا الرسول هو رجل الإنسانية الأول.. وليس لها من هادٍ ومرشد، ولا من منقذ إلا هذا الرسول بما جاء به من رحمة وسعت الناس أجمعين، ولا تشرق الشمس وتغرب إلا وتنقل لنا الأنباء قصص من يؤمنون به رسولاً وهم من العلماء في شتى مجالات العلم وفي أقاصي المعمورة وأرجائها.

ومع قناعتنا المطلقة بشرف هذا الرسول نسبًا، وشرف دعوته ورسالته غايةً وهدفًا، فإننا نثبت هنا بعض ما أثبته الدارسون والمؤرخون، والمنصفون من نسبه الشريف.. وما سنثبته هنا ليس سوى نزر يسير من كثير كثير، أو هو نقطة ضوء نستعيرها من نسبه الشريف، وسيرته العطرة لنصبَّها على صفحات هذا الكتاب الذي يفتخر بتواضعه.. فهو للتذكير كما أردناه، فرسولٌ تكتب عنه ملايين الصفحات، ويُتحدث عنه ملايين الساعات لا يمكن أن يكون حديثنا عنه هنا إلا أقل من أن يدعى مختصراً، مع يقيننا أنه لم تزل هناك الحاجة الملحة إلى المزيد من التعرف على هذا الرسول الكريم وسيرته.

وقد بشر به بعض الرسل السابقون كموسى وعيسى عليهما السلام، وهما من أولي العزم من الرسل، وأخبارهما أوسع الأخبار انتشاراً وذكراً لصفاته. وهي أشهر من أن تكون خافية على أي قارئ متتبع، ومفكر مطلع منصف.

إذن فإن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ هو خير أهل الأرض نسبًا، فنسبه الشريف يبقى في أعلى ذروة، شهد له بذلك خصومه وأعداؤه، وأنه غير منازع في ذلك.

إذ إن أشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته.. نخبة بني هاشم، المختار من خير أخيار العرب وأعرقها في النسب، وأشرفها في الحسب، وأطولها عموداً، وأطيبها أرومة.. فكان جديراً أن يكون أرجحها في الفخر ميزاناً، وأوضحها بياناً، وأصحها إيماناً، وأكرمها معشراً، تنقّل بأمر الله وحكمته في الأصلاب الطاهرة إلى أن أكرمه الله وأكرم الإنسانية بولادته في أكرم بلاد الله وأحبها إليه وإلى عباده في الزمن المناسب المهيء رجاله للمساهمة معه في حمل رسالته بعد أن أدركوا أهمية هذه الرسالة الخاتمة، ومنحوها كلَّ ما تستحق من الصدق والتضحية.

وكلمة محمد هي اسم مفعول على الصفة للتفاؤل بأنه يكثر حامدوه، والمحمد هو الذي حمد الله مرة بعد مرة والذي تكاملت فيه الخصال المحمودة.

ولم يكن منه في الجاهلية قبل بعثته إلا ما يؤكد هذا، وتاريخه منذ ولادته معروف وموثق، ويجمع عليه المؤرخون.. فتى هذا منبته، وتلك خصاله الموروثة والمفطور عليها جديرة بأن تثير انتباه الناس إليه واهتمامهم به.. ومعروف جيداً لدى الجميع موقفه العظيم يوم رفع الحجر الأسود وقد اختلفت العرب في وضعه مكانه يوم أعاد أهل مكة بناء الكعبة الشريفة، فكانت كل قبيلة تريد أن تستأثر بهذا الشرف العظيم الخالد، وكاد القوم أن يقتتلوا، ولو اقتتلوا يومها وهم على ذلك التشدد والحماسة والإصرار لربما كان في ذلك فناؤهم.. وتشاء حكمة الله أن يُقرّوا بالاحتكام إلى أول داخلٍ إلى الكعبة، وهنا تتجلى حكمة الله ورحمته وتوفيقه إذ يكون الداخل من أقرَّ له الجميع بأنه الصادق الأمين.. فهتف القوم حينما رأوه قادماً «رضينا بالصادق الأمين».. وهنا تتجلى أيضاً رجاحة عقل محمد بن عبد الله ﷺ إذ أرضى الله به الجميع فألهمه أن ينزع ثوبه، وأن يضع الحجر الشريف بيديه الشريفتين في الثوب، ثم يدعو رئيس كل قبيلة ليأخذ طرفاً من الثوب حتى إذا اجتمع على ذلك رؤساء القبائل قال: ارفعوا.. فرفعوه جميعاً فائزين بشرف رفعه، ثم تناوله بهاتين

اليدين الطاهرتين ووضعه في مكانه.. ومن الجميل أن نذكر أن رضا الجميع في أن يكون لمحمد دون سواه هذا الشرف في وضع الحجر في مكانه ما هو إلا اعتراف منهم جميعاً بمنزلته، وشرفه، وأهليته، كما هو اعتراف وتقدير منهم لما كان عليه من خلق عظيم.. فصلوات ربي وسلامه عليه تهدى إليه إلى أبد الآبدين.

وإذا أردنا أن نقف عند قصة ثانية من سيرة حياته العطرة قبل بعثته، ومضينا نتأمل فيها تبين لنا منها عظمته ﷺ وأهليته ليكون خير من ولدَ.. وأعزَّ من ولِدَ.. وأشرف من ولِدَ.. وأنه فرد الزمان بما كان من محامده، ومكارمه، وحكمته، ورشده وبكل ما كان منه..

وهذه القصة معروفة ومتداولة ننقلها هنا بشيء يسير من التصرف فهي كقصة الحجر الأسود دلالة وأهمية، نقلناها من كتب السيرة والتاريخ.

قصة زيد بن حارثة:

قال ابن سعد: أمه سعدى من بني معن ابن طيء، وأبوه حارثة بن شراحيل الكعبي.

زارت سعدى أم زيد قومها وزيد معها فأغارت خيل لبني القين ابن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن فاحتملوا زيداً وهو غلام يفعة، فأتوا به سوق عكاظ وعرضوه للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهبته له.

وكان أبوه حارثة حين فقده قال:

بكيت على زيد ولا أدر ما فعل أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل

وعاش زيد مع محمد ﷺ قبل النبوة فرأى من أخلاقه، وحسن معاملته، وكريم أفعاله ما أصبح النبي ﷺ أغلى من كل أحد حتى من أبيه وأمه.

فحج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه فقال : أبلغوا أهلي هذه الأبيات ، منها :

أحن إلى قومي وإن كنت نائيا بأني قطين البيت عند المشاعر

فانطلقوا فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه .

فخرج حارثة وكعب أخوه بفدائه ، فقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل : هو في المسجد ، فدخلا عليه فقالا : يا ابن عبد المطلب ، يا ابن سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله ، تفكون العاني ، وتطعمون الأسير ، جئناك في ولدنا عبدك ، فامنن علينا ، وأحسن في فدائه فإنا سنرفع لك . قال ﷺ : «**وما ذاك؟**» قالوا : زيد بن حارثة . فقال ﷺ : «**أو غير ذلك أدعوه فأخيره فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء**» قالوا : زدتنا على النَّصَف ، فدعاه فقال ﷺ : «**هل تعرف هؤلاء؟**» قال : نعم هذا أبي وهذا عمي . قال ﷺ : «**فأنا مَن قد علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما**».

فقال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني بمكان الأب والعم ، فقالا : ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ؟ قال : نعم إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً .

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال ﷺ : «**اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه**» فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما فانصرفا ، فدعي زيد ابن محمد حتى جاء الله بالإسلام .

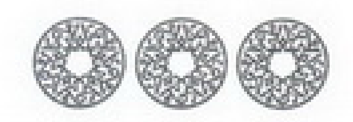
روى البخاري عن ابن عمر –رضي الله عنهما– ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ (وزيد هو أول من أسلم من العبيد) .

ذلك هو محمد بن عبد الله قبل أن يبعث بالرسالة الخاتمة ، فما أجدره بها وأعزها به ! .

وما أحوج العالمين إليها وإلى سيرته في كل زمان ومكان.

وكما ذكرنا فإن ملايين ملايين الصفحات قد كتبت عن سيرة هذا الرسول الكريم ﷺ، واستنبطت منها الحكم والأحكام، والعبر والعظات، ولم يزل هناك المزيد مما يمكن استنتاجه منها والاهتداء بها وإليها..

وحسبنا هنا أن نمرَّ مروراً عابراً، ونأخذ ذكرى عطرة، ونحن نقدم لنسبه الشريف ذاكرين باختصار طرفًا يسيراً من سيرة أجداده الكرام الذين تنقَّلَ في أصلابهم الطاهرة ليعرف الجاهلون أن محمداً بن عبد الله خيار من خيار، وأن حكمة الله شاءته، وعنايته أنبتته ليكون فرد الزمان، وأكمل رسول وأعظم إنسان.



هل هناك نبي في العرب بين سيدنا إسماعيل عليه السلام وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

قبل أن نتكلم في نسبه الشريف نحب أن نقول هنا : إنه لا نبي بعد إسماعيل إلا رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا، وهذا الفصل ليس إلا تذكير لمن فاته أن يطلع على ما ورد فيه؟ وما القول في نبوة من قبله إلا من قبيل التشكيك بتاريخ هذه الأمة والتقليل من أهمية رسالة رسولها الكريم.

فلئن كثر الكلام في هذا وتناقلته جملة من المؤرخين عن أن خالد بن سنان أو سواه كان نبيًا جاء بعد إسماعيل عليه السلام، وقبل خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلوات ربي وسلامه عليه، فهو لا يثبت وليس له دليل، وليست كثرته أو قلته ذات بال، ولا تعني بالنسبة للمسلم شيئا على الإطلاق.. وهي في مجملها وتفصيلاتها من الإسرائيليات التي لا يعتد بها لأنها تتعارض مباشرة مع قول الله تبارك وتعالى في تنزيله المحكم على نبيه الأكرم. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ (السجدة٣)،

و ﴿ مَّا ﴾ هنا نافية لا مجال إطلاقا لأي تأويل لها . . وهذا القول الفصل بكل هذه الصراحة والوضوح يؤكده رب العزة والجلال المنزل الوحي على أنبيائه، العالم بكل شيء. فكيف لمسلم بعد هذا أن ينقل كلاما مهما قل أو كثر، ومهما بلغ شأنه وهو يناقض هذا الكلام الإلهي المبين؟ !، ويتعارض كليا مع حديث رسول الله ﷺ وهو قوله: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي»[1] وهل للمسلم غير كتاب الله عز وجل وسنة نبيه من مستند ومرجع؟.

وهل بعدهما من حجة أو دليل !.

ولئن مرَّت معنا وستمر أقوال لأجداد رسول الله ﷺ وكانت متطابقة أو قريبة مما جاء به، فما هي إلا خصال حميدة كانوا عليها . . وهي مما بقي وتوارثه الناس من أقوال المرسلين والأنبياء السابقين، والحكماء المتأملين . . وما قالوه مما سنورده في حينه منسجم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها . . والتي كان عليها الناس قبل أن يجتالهم الشياطين عنها . .

أما خالد بن سنان هذا الذي يزعم ناقلوا تلك الأخبار عنه أنه نبي هو أو سواه، فهي واهية ومتناقضة، وليس لها ما يؤيدها من أعمال، ومن أقوال، ومن أشعار يعتد بها . . ولا ينكر منكر أهمية الشعر ودوره في هذا المجال.

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليس بيني وبينه -يعني عيسى عليه السلام- نبي، وانه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون**»، أبو داوود (٤٣٢٤) وهو حديث صحيح. ورواه الإمام أحمد (٢/٤٠٦-٩٠١٧)، وابن حبان (٦٨١٤)، والطبري في تفسيره (٣/٢٨٩)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٥١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٤٩٩)، ومعمر بن راشد الأزدي في الجامع (١/٤٠١). وإسحاق بن راهويه في المسند (١/١٢٤)، وغيرهم بنحوه. وللحديث روايات أخرى مطولة ومختصرة.

بين يدي والدي النبي ﷺ

قال تعالى مخاطبًا عبده ونبيه سيدنا محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران:٣١)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (الأحزاب:٢١)، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (الأحزاب:٥٧).

ولقد استفتحت بهذه الآيات لأبدأ بها كلامي عن والدي النبي ﷺ؛ لأن هذا الموضوع لا يجوز التكلم فيه إلا بغاية الأدب والحذر الشديد؛ لأن الأمر يخص رسول الله ﷺ ذاتيًا حتى لا يقع المتكلم دون أن يدري في إيذاء رسول الله ﷺ ودون أن يشعر، ولأبين أن أمر المؤمن هو تابع لرسول الله ﷺ يؤذيه ما يؤذي الرسول ﷺ ويسره ما يسر الرسول ﷺ، ويحب ما يحبه الرسول ﷺ، ويبغض ما يبغضه

الرسول ﷺ ، وما في قلب المؤمن يكاد أن يوافق ما في قلب رسول الله ﷺ إن كمل إيمانه . والثابت أن رسول الله ﷺ يحب أبيه وأمه ويرجو لهم من الله كل خير ، ولو بيده الأمر كله لحباهم بكل خير وفضل .

وخلاصة ما أريد أن أقول : إن أبوي النبي ﷺ وأجداده هم على قول أغلبية السلف من أهل الفترة الذين غاب عنهم وحي السماء فترة طويلة من الزمن فما أنذر أباؤهم فهم غافلون ، فقد طالت بهم الفترة من لدن إسماعيل عليه السلام إلى بعثة النبي محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، وصاحب الرسالة العامة الشاملة لكل الزمان والمكان إلى قيام الساعة ، فكل نبي ورسول ممن سبقوه كانت رسالتهم لقومهم خاصة كما قال ﷺ : «**بعث كل نبي لأمته خاصة، وبعثت للناس كافة**» وأهل الفترة هؤلاء الذين طال عليهم إنذار السماء على عكس أبناء إسحق بن إبراهيم أخو إسماعيل عليهم السلام فكان الأنبياء يكادون أن يكونوا متصلين بعضهم ببعض ولم يطل عليهم خبر السماء ؛ فسلَّم إبراهيم إسحق وسلَّم إسحق يعقوب وسلَّم يعقوب يوسف . . . ، وهكذا مع أنبياء بني إسرائيل (يعقوب عليه السلام) إلى أن ختموا بنبي الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام الذي بعث لبني إسرائيل أو كما قال : بعثت لخراف بني إسرائيل الضالة ولم تشمل أهل الفترة بمكة دعوة نبي الله عيسى عليه السلام إلا من سمع بها ، ووقعت عليه الحجة ، لذلك يؤكد الله سبحانه وتعالى لنبيه ذلك في قوله : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ (يس:٦).

والثابت عند جموع علماء المسلمين أن الوحي (القرآن) لا تعارض فيه وإنما التعارض يقع بين الرواه في الحديث الشريف فالنص القرآني قطعي الثبوت والدلالة فإن عارضه الحديث الشريف فلا ينظر إلى النص القرآني ولكن ينظر إلى الحديث من جهة التعارض بين الرواه والتعارض في الفهم ومدارك العقل وهل ثبت النسخ أم لا ؟ فإن استطاع أهل الحكمة من علماء الحديث أن يوفقوا بين النص القرآني ومتن

الحديث فبه ونعمت ، وإن لم يستطيعوا فيقدم النص القرآني ولا خلاف في ذلك لأن النص القرآني قطعي الثبوت والدلالة والحديث الشريف ظني الثبوت والدلالة ؛ فيقدم النص القرآني على الحديث والثابت في جميع النصوص القرآنية التالية أن العرب لم يأتهم نذير من قبل والحساب يوم القيامة ودخول النار إنما هو على تكذيب النذير وذلك توضحه الآيات التالية :

قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص،٤٦).

وقوله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ (يس،٦).

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (السجدة،٣).

وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأعراف،١٨٤)

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف،١٨٨).

وقوله تعالى : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ (هود،٢).

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (هود،١٢).

وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ (الحجر،٨٩).

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الحج،٤٩).

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الشعراء،١١٥).

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ،٤٦).

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر،٢٣).

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا ﴾ (فاطر:٤٢) .

وقوله تعالى: ﴿ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (ص:٧٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف:٩).

وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات:٥١).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الملك:٢٦).

والآيات السابقة تبين أن النذير هو حجة الله على خلقه أو كما قال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء:١٥).

أي لا بد أن يسبق العذاب إثبات الحجة على الناس بالرسل المنذرين من عذاب الله .

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (فاطر:٣٧).

وقوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك:٨-١٠)

وبذلك كله يتأكد لنا أن الله لا يعذب حتى يبعث رسولا ينذر من جاءه النذير ، ومن لم يؤمن وقعت عليه الحجة للعذاب ، ومن لم يأتيه النذير لم تقع عليه الحجة للعذاب ، ومنهم أهل الفترة فلم ينذر أباؤهم فهم غافلون ومنهم أبوي النبي ﷺ .

وهناك حديثان شريفان أيضًا أحدهما يتعارض مع نص قرآني واضح وهو

قوله ﷺ: «**استأذنت ربي في أن أزور قبرها** -أي قبر أمه آمنة بنت وهب- **فأذن لي، واستأذنته في أن استغفر لها فلم يؤذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**»، والثابت والسنة أيضًا ولنا التأسي بها والاتباع لقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أن النبي زار قبر أمه آمنة ووقف عليه وبكى وأبكى ولا تعارض في ذلك. أما عبارة استأذنته أن استغفر لها فلم يؤذن لي فيعارض النص القرآني الصريح: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء،٢٤) والثابت أن رسول الله ﷺ نزلت عليه هذه الآيات وتلاها وقالها، أي أن رسول الله ﷺ قال بلسانه حال حياته مبلغا عن ربه ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء،٢٤) انتهى.

أما حديث أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال ﷺ: «**في النار**» فلما قضى دعاه فقال ﷺ: «**إن أبي وأباك في النار**» ونص الحديث يخالف النص القرآني ففي عذاب أهل الفترة ومنهم أبوي النبي ﷺ لقوله سبحانه وكما أسلفنا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء،١٥)، فإما أن نثبت دلالة الآيات ونؤول الحديث أو نوفق بين معنى الآيات والحديث أما ثبوت دلالة الآيات فقد سبق إثباته بالكم الغفير من الآيات القرآنية الصريحة وأما تأويل الحديث والتوفيق بين معنى الآية والحديث فنقول وبالله التوفيق:

إن العرب تسمى العم أبا، ويؤيد ذلك آيات القرآن العظيم.. ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة، ١٣٣). فإسماعيل عمهم وسماه القرآن أبا، وبذلك قد يكون الأب هنا هو عمه أبو لهب الذي توعده الله سبحانه وتعالى بأنه سيصلى نارا ذات لهب.

ولذلك يثبت الآتي:-

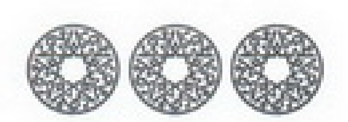
١- إن قدمنا النصوص القرآنية القطعية الثبوت والدلالة على متن الحديث الظني الثبوت والدلالة ثبت لنا نجاة والدي النبي ﷺ.

٢- إن أولنا الحديث ووفقنا بين معنى الآيات والحديث كما سبق ثبت لنا نجاة والدي النبي ﷺ.

٣- إن اتبعنا الأدب مع رسول الله ﷺ سكتنا عما يخالف ذلك.

٤- إن كانت قلوبنا المؤمنة على قلب رسول الله ﷺ نحب ما يحبه، ويؤذينا ما يؤذيه رغبنا في عفو الله ورحمته فقد نال العالمين رحمة رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

وقضاء الله وقدره يرضاه رسوله وأمته من بعده أيًا كان، فما ربك بظلام للعبيد، والله تعالى أعلى وأعلم وهو الهادي والموفق للصواب.



والداه الكريمان ﷺ



عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ

هو عاشر إخوته، وأصغرهم على بعض الروايات.

ولد لعبد المطلب بنحو إحدى وسبعين سنة قبل الهجرة.. ويعرف عبد الله هذا بالذبيح، وسبب ذلك أن أباه عبد المطلب نذر لئن ولد له عشرة من الأبناء وشبوا في حياته لينحرن أحدهم عند الكعبة الشريفة.

ولما أن بلغوا كذلك ذهب بهم إلى الكعبة، فضربت القداح بين أبنائه العشرة فخرجت على عبد الله الأصغر الأحب، ففداه عملا برأي إخوته والكهان بمئة من الإبل بعد أن أسهم عليه عشر مرات كان يزيد كل مرة عشرة من الإبل.

وما ارتضى حين بلغت الإبل مئة إلا أن يعيد القداح، وعادت القداح ثلاث مرات كانت تخرج كلها على الإبل.. وهنا تيقن عبد المطلب من أن الله معه فيما أحب، وهنا يتبين لنا أيضا مدى وفاء عبد المطلب لوعده.. إذ يقرب ولده الأصغر الأحب إلى الذبح وفاء بوعده.. والتزاما بكلمته وعهده، وإيمانا بأن الموقف فوق العاطفة، وهذه الخاصية في العرب من أهم ميزاتهم التي جعلت الرسالة بينهم، فإنهم سيصبحون أقدر الناس على الوفاء لله الذي آمنوا به إيمانا فطريا، ليصح هذا الإيمان ويكتمل ببعثة سيدهم وأشرفهم محمد الذي أصبحوا بدعوته خير أمة أخرجت للناس.

ونحرت الإبل المئة التي كانت توازي ثروات طائلة وتركت لا يصد عنها إنسان، ولا طائر ولا حيوان.. كما ذكر في بعض كتب السيرة، والقصة مشهورة جدا، وقد جاء في حديث ضعيف أنه صلوات الله وسلامه عليه قال: **«أنا ابن الذبيحين»**.

ومعلوم أن الذبيح الأول هو جده إسماعيل بن إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه وعلى خير ولده محمد وعلى رسل الله أجمعين.

والذبيح الثاني على ما روي هو والده عبد الله بن عبد المطلب.

وقد تزوج والده عبد الله آمنة بنت وهب العفيفة الطاهرة التي تشرفت بحمل سيد الخلق أجمعين، وكان زواجهما في منى، وكان سنه إذ ذاك ثماني عشرة سنة على أرجح الروايات، وقد ارتحل عبد الله بعد أن حملت منه آمنة برسول الله ﷺ مع قريش بتجارة إلى غزة، فلما مروا بالمدينة عائدين تخلف عند أخواله من بني النجار ليشتري تمرا يعود به إلى مكة، فمرض وأقام شهرا عندهم مريضا، ثم توفي ودفن في المدينة على الصحيح، وقيل إنه ارتحل عنهم ثم توفي ودفن في الأبواء بين مكة

والمدينة، وكانت وفاته قبل الهجرة بنحو ثلاث وخمسين سنة وقبل وقعة الفيل بنحو ثمانية أشهر.. ورث صلوات الله وسلامه عليه من والده عبد الله خمس جمال، وقطيعا من الغنم، وعبدا وجارية هي أم أيمن بركة الحبشية أم أسامة بن زيد الصحابي الجليل حب رسول الله ﷺ ابن زيد الذي كان قد تبناه.

ولعله من المفيد أن نذكر هنا أبياتا وردت منسوبة لآمنة بنت وهب ترثي فيها زوجها الحبيب عبدالله والد رسول الله ﷺ فتقول:

عفا جانب البطحاء من آل هاشم	وجاور لحدا خارجا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها	وما تركت في الناس مثل ابن هاشم!
عشية راحوا يحملون سريره	تعاوره أصحابه في التزاحم
فإن تك غالته المنايا وريبها	فقد كان معطاء كثير التراحم

وواضحة هنا في هذه الأبيات -على قصرها- الصفات الكريمة، والشمائل الحميدة التي كان عليها عبد الله، ومن أعلم بالزوج من زوجته!

ومما ورد من شعر عبد الله قوله مفتخرا بشمائله وأنسابه الشريفة:

لقد حكم السارون في كل بلدة	بان لنا فضلا على سادة الأرض
وأن أبي ذو المجد والسؤدد الذي	يشار به ما بين نشز إلى خفض
وجدي وآبائي له أثلوا العلا	قديما بطيب العرق، والحسب المحض

وإذا قارنا افتخار هذا السيد الكريم بما كان يفتخر به شعراء الجاهلية وغير شعراء الجاهلية بالخمر والشرب والسكر والقيان تبين لنا من جديد شرف هذا الرجل الذي مع افتخاره الشديد الذي يباهي به العرب أجمعين. ويكفيه فخرا ويزيده أن ابنه محمدا أكرم المخلوقات، وأفضلهم عليه من ربه ومنا أفضل الصلوات وأتم التسليم.



آمنة بنت وهب والدة رسول الله ﷺ

إنها أم إمام العالمين وأكرم المرسلين.. أفضل امرأة في قريش نسبا، ومكانة، وتنشئة، امتازت بالذكاء، وحسن البيان، رباها عمها وهيب أبو هالة أم حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله ﷺ.. تزوجها كفؤها عبد الله بن عبد المطلب، وكانت تخرج كل عام من مكة إلى المدينة وتنزل عند أخوال عبد المطلب بني عدي ابن النجار أخوال زوجها الحبيب، وتزور قبره وفاء له واعتزازا بما كان منه، وهي التي لم تعش معه سوى أشهر قليلة، وفي رواية لأحمد: **«ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم»** (١).

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٢٨/٤).

وفي إحدى زياراتها مرضت وتوفيت، ودفنت في طريق العودة من المدينة إلى مكة في قرية تعرف بالأبواء، وقبرها معروف هناك، وكان موتها قبل الهجرة بنحو ثمان وأربعين سنة، وكان عمرها نحو عشرين عاما، وكان عمر ولدها الحبيب محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ست سنين، وينسب إليها أنها قالت عندما حضرتها الوفاة وقد نظرت إلى وحيدها وحبيبها وهي تودعه بهذه الأبيات الشجية مشيرة فيها ومفتخرة بأنه ابن الذبيح المفتدى:

يا ابن الذي من حوية الحمام ... بارك فيك الله من غلام

فودي غداة الضرب بالسهام ... نجا بعون الملك العلام

إن صح ما أبصرت في المنام ... بمئة من إبل سوام

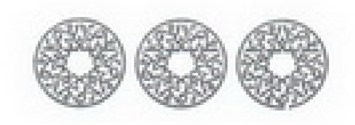
تبعث بالتحقيق والإسلام ... فأنت مبعوث إلى الأنام

فالله أنهاك عن الأصنام ... دين أبيك البر إبراهام

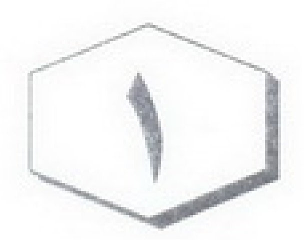
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة، وذكري باق، وقد تركت خيرا، وولدت طهرا.

وقيل إنها دفنت في الأبواء كما ذكرنا.



أجداد النبي ﷺ



عبد المطلب بن هاشم

هو الجد الأول للنبي ﷺ جده لأبيه عبد الله، واسمه شيبة بن هاشم، وهاشم أبوه عبد مناف، خرج هاشم إلى يثرب في عير لقريش فيها تجارات، وكانت طريقهم على المدينة فنزلوا بسوق فيها فباعوا واشتروا، ورأى هاشم في السوق امرأة ذات مال وجمال؛ وهي تأمر بما يشترى لها ويباع، فرأى امرأة حازمة جلدة، فسأل عنها فقيل: إنها سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد.. بن عدي بن النجار، فخطبها هاشم فعرفت شرفه ونسبه، فتزوجها ودخل بها، وأقام في يثرب وليمة دعا إليها أصحاب العير الذين خرجوا معه من مكة، وكانوا أربعين رجلا من قريش، ودعا رجالاً من

الخزرج، وأقام بيثرب أيامًا فحملت سلمى بولده شيبة الذي سيغلب عليه اسم عبد المطلب ويصبح علمًا عليه.

ثم لم يلبث هاشم أن خرج إلى الشام في أصحابه تاجراً، حتى بلغ غزة، فمرض فيها أيامًا، وأقام أصحابه عليه فمات بغزة فدفنوه فيها، ورجعوا بتركته إلى زوجه سلمى، فلما ولدت له ابنه شيبة أنفقت عليه من أموال أبيه، وأوصى هاشم بن عبد مناف إلى أخيه المطلب بن عبد مناف بالرفادة، والسقاية، والسدانة، فكان إليه الأمر في ذلك حتى توفي.

كان لهاشم بن عبد مناف زوجات في مكة، ولدت له ثلاثة ذكور، وخمس نسوة كانوا جميعًا إخوة لشيبة، لا يعرفهم ولا يعرفونه، ونشأ شيبة الحمد في يثرب عند أخواله من بني النجار حتى أيفع، وكان فتى ذا جمال وهيبة وشرف، يأسر القلوب والعيون، ولم يكن أحد من أبناء هاشم في مكة يعبأ بأخيه شيبة أو يسمع عنه شيئا حتى جاء ثابت بن المنذر بن حرام، والد حسان بن ثابت إلى مكة معتمراً، فلقي المطلب بن هاشم وكان صديقًا له فقال له: لو رأيت ابن أخيك شيبة لرأيت الجمال والهيبة والشرف، ولقد رأيته وهو يرمي مع فتيان من أخواله يناضلهم فيصيب سهامه جميعًا في مثل راحة كفي هذه، فقال المطلب لصديقه ثابت: لا أمسي حتى أخرج إليه في يثرب فآتي به، فقال ثابت له: ما أرى أن أمه سلمى تدفعه إليك ولا أخواله، هم أضن به من ذلك، يحبونه ويحرصون عليه، ولو أنك تدعه فيهم حتى يكون هو الذي يأتي إلى ههنا راغبا فيك. فقال المطلب: ما كنت لأتركه هناك ويترك مآثر قومه، وسِطَتُهُ ونسَبُه وشرفهُ في قومه ما قد علمْتَ.

ثم خرج المطلب بن هاشم إلى يثرب فنزل فيها، وجعل يسأل عن ابن أخيه شيبة حتى وجده يرمي في فتيان من أخواله فعرفه بالشبه بأخيه هاشم ففاضت عيناه، وضمه إليه وكساه حلة يمانية جاء بها معه من مكة، وعرفه بنفسه.

فلما علمت سلمى بمجيئة وحاجته أرسلت إليه لينزل عليها ضيفا فأبى، وقال: ما أريد أن أحل عقدة حتى أقبض ابن أخي وألحقه بقومه، فأبَتْ عليه ذلك وقالت: لست بمرسلته معك.. فقال: إني غير منصرف حتى أرجع بابن أخي، وقد بلغ وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت وشرف في قومنا، ومقامه في بلده خير له، وهو ابنكِ حيث كان، فلما رأت عزمه على أخذه وعز عليها فراقه وشيكًا استنظرته ثلاثة أيام، فحول المطلب رحله إليهم ونزل، فأقام عندهم ثلاثة أيام، ثم احتمل ابن أخيه شيبة وعاد به إلى مكة.

دخل المطلب مكة بابن أخيه شيبة ظهراً، فقالت قريش لما رأته: هذا عبد المطلب، فقال ويحكم، إنما هو ابن أخي هاشم. فقالت قريش: هو ابنه، وغلب عليه اسم (عبد المطلب) فلم يزل يدعى به آخر الدهر.

أما عمه المطلب فقد كانت الرياسة والرفادة والسقاية قد انتهت إليه، وعاش سنين مع ابن أخيه يعلمه كل ما تقتضيه الرياسة والرفادة والسقاية من المسؤوليات، وعاش الفتى في ظل عمه المطلب دهراً يباشر معه إطعام الحاج وسقايتهم، ثم خرج المطلب بن عبد مناف تاجرا إلى اليمن فهلك بردْمانَ من أرض اليمن، فتولى عبد المطلب بعده الرفادة والسقاية، فلم يزل يطعم الحاج ويسقيهم من حياض من أدم بمكة، فلما احتفر زمزم ترك السقي من الحياض وسقى من زمزم، وكان يحمل الماء من زمزم إلى عرفة، فكان شيخ البطحاء بعد عمه المطلب، ورثها كابراً عن كابر، كما كان أبوه هاشم من قبل على الرفادة والسقاية حتى مات، فورثه أخوه المطلب كما ذكرنا آنفا.

ولأن عبد المطلب بن هاشم أمه سلمى بنت عمرو بن زيد من بني النجار وهم أخواله، فهم أخوال ابنه عبد الله بن عبد المطلب؛ فهم بذلك أخوال النبي ﷺ بهذا الصهر بين هاشم وبني النجار.



هاشم بن عبد مناف

واسمه عمرو العلا، سمي هاشماً لأنه أول من هشم الثريد بمكة وأطعم الناس على جوع وشدة أصابتهم وجدب، وكان تاجرا فرحل إلى فلسطين فاشترى دقيقاً، ثم أمر بحمله على الإبل حتى وافى مكة، فهشم الخبز وثرده، ونحر الإبل، وصنع لهم ثريداً ومرقة فاطعمهم على جوع فسمي هاشماً، وفيه قال ابن الزّبعري:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون[1] عجاف

وذكر أن هاشماً أول من سن رحلتي الشتاء والصيف لقريش، وهاشم وعبد شمس والمطلب أمهم عاتكة بنت مرة السلمية، وكان المطلب أصغرهم، فسادوا

(١) أصابتهم سنة بشدة.

جميعًا بعد أبيهم، أخذ هاشم لقريش حبلاً[1] من ملوك الشام الروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي الأكبر، وأخذ لهم المطلب حبلاً من ملوك حمير، وأخذ لهم نوفل حبلاً من ملوك فارس الأكاسرة، فكانوا يذهبون في تجاراتهم آمنين حيث مشوا في البلاد، وكان أول من سن الرحلتين لقريش «رحلة الشتاء والصيف» في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي، فيكرمه ويحبوه، ورحلة في الصيف إلى الشام، وربما بلغ أنقرة فيدخل على قيصر أو نائبه فيكرمه ويهديه.

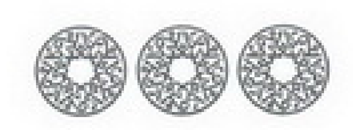
كانت بنو عد الدار بن قصي أصحاب الحجابة واللواء والرفادة والسقاية والندوة، ورأى هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل ابناء عبد مناف أنهم أحق بذلك لشرفهم وفضلهم في قومهم، وكان الذي دعا إلى ذلك هاشم بن عبد مناف، فأبت عبد الدار أن تسلمهم ذلك، وكادت الحرب أن تقع بينهم، ثم تداعوا إلى الصلح على أن يعطي بنو عبد الدار بني عبد مناف السقاية والرفادة، وتبقى الحجابة واللواء ودار الندوة إلى بني عبد الدار، وتحاجزوا عن القتال، فلم تزل دار الندوة في يدي بني عبد الدار حتى اشتراها معاوية بن أبي سفيان من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف، فجعلها معاوية دار الإمارة، وظلت في أيدي الخلفاء قرونًا عديدة.

وأصبح بذلك هاشم بن عبد مناف صاحب السقاية والرفادة، وكان رجلا موسِرا، وكان يخطب في قريش إذا حضر الحج فيقول: يا معشر قريش؛ إنكم جيران الله وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله، يعظمون حرمة بيته، فهم ضيف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به، وحفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزواره، يأتون شعثًا غبرا من كل بلد على ضوامر، فاقروهم واسقوهم، فكانت قريش تتنافس في ذلك، حتى

(١) العهد والأمان والميثاق.

إن أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم، وكان أهل اليسار من قريش يترافدون، فيرسل كل من استطاع مائة مثقال هرقلية، وكان هاشم يأمر بحياض من أدم فتجعل في موضع زمزم - قبل أن يحفرها عبد المطلب - ويستقي فيها الماء من آبار مكة فيشربه الحاج، وكان يطعمهم قبل التروية بيوم بمكة، ثم بمنى وجَمْع وعرفة، وكان يثرد لهم الخبزَ واللحمَ، والخبزَ والسمنَ والسويقَ والتمرَ، ويجعل لهم الماء بمنى فيسقون، والماءُ يومئذ قليلٌ إلى أن يصدروا من منى فتقطع الضيافة، ويتفرق الناس لبلادهم.

وهاشم بن عبد مناف هو الذي أخذ الحلف لقريش من قيصر لأن تسير في بلاده آمنة، وأن لا تدفع على تجاراتها كراء لأهل الطريق، فكتب له قيصر بذلك كتابا، وجرى الأمر على ذلك زمانا.





عبد مناف بن قصي

واسمه المغيرة، وأمه حُبى بنت حليل بن حبشية بن كعب بن عمرو بن خزاعة، سماه أبوه المغيرة تفاؤلاً بأن يكون محاربا للأعداء، وقد أعطاه الله جمالاً وحسنا باهرا، فكان يقال له: القمر لجماله، ثم خلف أباه قصيًا على قريش فأصبح أمرها إليه، واختط بمكة رِباعا[1] لقومه، كما فعل أبوه قصي من قبل، وكان مطاعًا في قومه، وهو الذي عقد الحلف لقريش مع النجاشي في تجارتها إلى أرضه، وهو الذي عقد الحلف لقريش مع هرقل لأن تمشي في بلاده آمنة، فكانت قريش تقوم برحلة الإيلاف بموجب هذه الأحلاف، فلا يعترض لقوافلها معترض، في الصيف إلى الشام، وفي الشتاء إلى اليمن والحبشة.

(١) جعل لكل من لا أرض له بمكة أرضًا يقطنها ويعمرها.

وعلى بني عبد مناف اقتصر النبي ﷺ حين أنزل الله تبارك وتعالى عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء:٢١٤)، فصنع لهم طعاماً وأنذرهم.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لما أنزل الله تعالي على النبي ﷺ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ خرج حتى علا المروة فقال: «يا آل فهر»، فجاءته قريش، فقال أبو لهب بن عبد المطلب: هذه فهر عندك فقل، فقال: يا آل غالب، فرجع بنو محارب وبنوا الحارث ابنا فهر، فقال: يا آل لؤي بن غالب، فرجع بنوا تيم، فقال يا آل كعب بن لؤي فرجع بنوا عامر بن لؤي، فقال: يا آل مرة بن كعب فرجع بنو عدي بن كعب وبنو سهم وبنوا جمح، فقال: يا آل كلاب بن مرة فرجع بنو مخزوم بن يقظه بن مرة وبنوا تيم بن مرة، فقال: يا آل قصي فرجع بنوا زهرة ابن كلاب، فقال: يا آل عبد مناف فرجع بنوا عبد الدار بن قصي وبنوا أسد بن عبد العزى بن قصي، فقال أبو لهب: هذه بنوا عبد مناف عندك فقل. فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وأنتم الأقربون من قريش، وإني لا أملك لكم من الله حظا ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله، فأشهد بها لكم عند ربكم، وتدين لكم بها العرب، وتذل لكم بها العجم**» فقال أبو لهب: تبا لك! فلهذا دعوتنا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد:١).

وروى ابن سعد في الطبقات عن محمد بن السائب عن أبيه قال: وَلَدَ عبدُ منافِ بنِ قصي ستة نفر، وست نسوة: المطلبَ بن عبد مناف، وكان أكبرهم، وهو الذي عقد الحلف لقريش من النجاشي في متجرها إلى أرضه، وهاشم بن عبد مناف، واسمه عمرو وهو الذي عقد الحلف لقريش من هرقل لأن تختلف إلى الشام آمنة، وعبدَ شمس بنِ عبد منافٍ، وتماضر بنت عبد مناف، وحنة، وقلابة، وبرة، وهالة بنات عبد مناف، وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال.. بن قيس عيلان بن مُضَر، ونوفلَ بن عبد مناف وهو الذي عقد الحلف لقريش من كسرى إلى العراق، وأبا

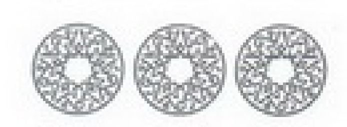
عمرو بن عبد مناف، وأبا عبيد دَرَج: وأمهم واقدةُ بنت أبي عدي بن زيد بن مازن ابن صعصعة، وريطةَ بنت عبد مناف ولدت بني هلال بن معيط من بني كنانة بن خزيمة وأمها الثقفية.

كان عبد مناف مطاعًا في قريش، وقد اشتهر وطار صيته في حياة أبيه، وبلغ من الكرم حتى لقب الفياض، وكان أشرفَ أولاد أبيه قصي، وأعلاهم شهرة، وأقواهم شوكة، وكان في يده لواء جَدِّهِ نزار، وقوس جده إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-. وفيه قال الشاعر:

كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح[1] خالصه لعبد مناف

وأوصى قريشا بمكارم الأخلاق وصلة الرحم..

قال الشافعي: كان عبد مناف مطاعا في قريش، واشتهر صيته، وطار ذكره في حياة أبيه، وكان يقال له: قمر البطحاء لحسنه وجماله، ويقال له: الفياض لكثرة جوده.. وكان أشرف أولاد أبيه، وأشهرهم، وأقواهم شوكة، وكان في يده لواء جده نزار، وقوس جدهم إسماعيل.



(١) صفرة البيض، وأراد ما يتخلق من الصفرة وهو الطير الذي يبدأ تَخلقه من لقحة البيضة.



قصي بن كلاب

تزوج كلاب فاطمةَ بنتَ سعدِ بن سَيَل، فولدت فاطمة له زهرة بن كلاب، ثم مكثت دهرا فولدت قصيًا فسماه أبوه زيدا، ثم توفي كلاب بن مرة، ثم جاء ربيعة ابن حرام أحد قضاعة فاحتملها إلى بلاده من الشام؛ سرغ وما دونها، فتزوج فاطمة وكان زيد فطيمًا فاحتملته أمه معها، وتركت أخاه زهرة في قومه لكبره، وسمي زيد قصيًا لبعده عن الحرم ونشأته في حجر ربيعة في الشام، وكان قصي ينسب إلى زوج أمه ربيعة بن حرام، ثم إن قصيًا ناضل (١) رجلاً من قضاعة يدعى رفيعًا، فلما غَلَبَ

(١) ناضله: راماه من الرمي بالسهام وإصابه الهدف، يقال: ناضله فنضله أي غلبه، وانتضل القوم: تباروا أيهم يصيب في رميه أكثر. وفي الحديث: مر النبي على قوم ينتضلون فقال النبي ﷺ: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا».

قصيٌ في المناضلة رفيعًا غضبَ المنضولُ ووقع بينهما شر فتقاتلا وتنازعا، فقال رفيع لقصي: ألا تلحق ببلدك وقومك، فإنك لست منا، فرجع قصي إلى أمه فسألها من أبوه؟ فقالت: أنت والله يا بني أكرمُ منه نفسًا وولدا ونسبا وأشرفُ منزلا، أبوك كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي، وقومُكَ بمكة عند البيتِ الحرام وما حولَه، قال: فوالله لا أقيم ههنا أبدا. قالت: فأقم حتى يجئ إبَّانُ الحج فتخرج في حاج العرب، فإني أخشى أن يصيبك بعض الناس، فأقام قصيٌ حتى حضر الحج بعثته مع قوم من قضاعة، فقدم مكة فوجد أخاه زهرة حيًا، فقال له قصي: أنا أخوك، وكان زهرة قد عمي فقال لأخيه: ادن مني، فلمسه فوجده أشعر[1] وكان زهرة أشعر، فقال: أعرف والله الصوتَ والشبهَ، فلما فرغ الحج أراده القضاعيون على الخروج معهم فأبى وأقام بمكة، وكان قصي رجلاً جلدا نهدا نسيبًا، فلم يلبث أن خطب حبى بنتَ حليلٍ بن حبشية الخزاعي فرغب حليل فيه وفي نسبه فزوجه، وكان حليل يلي أمر مكة والحكم وحجابة البيت، ولما مات حليل بن حبشية وكثر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه، رأى أنه أولى بالبيت وحجابته وأمر مكة من خزاعة وبني بكر، وأن قريشًا فَرْعَةُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، فكلم رجالا من قريش وبني كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه إلى ذلك ونصروه، ووقع بينهما قتال شديد عند العقبة من أجل رمي الجمار، وكان الحجاجُ لا يرمون حتى يرمي رجل من صوفة.

فلما كان العام الذي أتى بعد ذلك جاء قصي بمن معه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة وقالوا: نحن أولى بهذا منكم، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فانهزمت صوفة، وأجاز قصي الحجيج في الإفاضة من عرفة، وأصبح أمر مكة والبيت والحجابة في قصي وولده من بعده، ثم ندمت خزاعة وبنو بكر على نصرة قصي فانحازوا

---

(١) كثيف الشعر.

عنه، فأجمع قصي على قتالهم فاقتتلوا بالأبطح قتالا شديدا، ثم تداعوا إلي الصلح، وحكَّموا بينهم يعمر بن عوف وهو من كنانة، فحكم بأن قصي بن كلاب أولى بالبيت وأمر مكة من خزاعة، وأن ما أصابه قصي من دماء خزاعة وبني بكر موضوع تحت قدميه، ولا دية عليه بشيء، وأن ما أصابته خزاعة وبنو بكر من قريش ففيه الدية، ونفى قصي خزاعة وبني بكر عن مكة، فاكتملت السيادة على مكة والبيت والحرم لقريش.

أصبح قصي بن كلاب أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكًا، فكان شريف أهل مكة، فابتنى دار الندوة، وكان بابها إلى البيت، وفيها يكون أمر قريش كلُّه من مشورة،وحرب، ونكاح، وفي كل ما ينوبهم، وكانت لقصي الحجابة والسقاية والرفادة واللواء والندوة، وحكم مكة كله.

وسميت دار الندوة لأنها نادي قريش الذي فيه يجتمعون للخير والشر، وأدخل قصي بطون قريش كلها الأبطح، فسموا قريش البطاح، وأقام بنوا معيص بن عامر، وبنوا تيم الأدرم وبنوا محارب بن فهر، وبنوا الحارث بن فهر بظهر مكة، فهؤلاء هم الظواهر لأنهم لم ينزلوا مع قصي الأبطح، وسمي قصي مجمِّعًا لأنه جمع قريشًا، وبقصي سميت قريش قريشًا، وكان يقال لهم قبل ذلك: بنو النضر.

وقد سأل عبد الملك بن مروان محمد بن جبير متى سميت قريش قريشًا؟

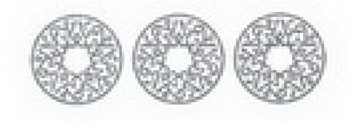
قال: حين اجتمعت إلى الحرم من تفرقها، فلذلك التجمع التقرش، فقال عبد الملك: ما سمعت هذا، ولكن سمعت أن قصيا كان يقال له: القرشي، ولم تسم قريش قبله.

وملكه قومه عليهم، فكان قصي أول من أصاب، الملك من ولد كعب بن لؤي،

فلما قسم أبطح مكة أرباعًا بين قريش هابوا أن يقطعوا شجر الحرم ليبنوا منازلهم فقطعها قصي بيده، وكان قصي أول من أعز قريشًا، وظهر به فخرها ومجدها، وأسكن قريشا مكة، ولما حاز قصي شرف مكة كلها، ثم هدم البيت ثم بناه بناء لم يبنه أحد، وكان طول جدرانه تسعة أذرع فجعله ثماني عشرة ذراعًا.

وقد عظمت قريش قصيًا، فكانت ترى أمره كالدين المتبع، وقسم قصي لولده فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف، والدار لعبد الدار، والرفادة لعبد العزى؛ وقال قصي لولده: من عظم لئيمًا شاركه في لؤمه، ومن استحسن مستقبحًا شركه فيه.

ومات قصي فدفن بالحجون، ورأس عبد مناف بن قصي بعده قريشًا، وعظم قدره وشرفه.





كلاب بن مرة

ويُكَنَّى أبا زهرة، والده مرة بن كعب، وأمه هند بنت سُرَيْر بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، تزوج مرة هنْد فولدت له كلابًا، ثم تزوج امرأة أخرى هي أسماء بنت عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر، فولدت له تيماً ويقظة، فهما أخوان لكلاب من غير أمه هما تيم ويقظة.

كان اسم كلاب حكيما، وقيل: عروة، ثم غلب عليه اسم كلاب لمحبته الصيد، وقيل إنه سمي كلابًا لمكالبته الأعداء وصبره عليهم، وكان كلاب أعظم أولاد أبيه قدرا وشرفا، واجتمع له شرف الأب، وشرف الأم من قبل أمه هند بنت سُرَيْر، فقد كان آل أمه يجيزون الحج من عرفة عند الإفاضة، ويجيزون الرمي،

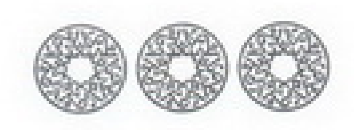
ويحرمون الشهور ويحلونها على ما كان معروفًا في الجاهلية من النسيئة، وكانوا يسمون النسأة والقلامس.

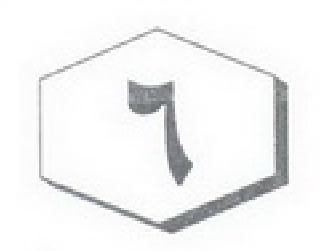
وكان لكلاب بن مرة من الولد قصي وزهرة من زوجته فاطمة بنت سعد بن سيل، وقد سماهما النبي ﷺ صريحا قريش، ولما مات كلاب تزوجت فاطمة ربيعة ابن حرام العذري فحملها إلى بلاده، وحملت معها ابنها قصي لصغره، وتركت زهرة في أهله لكبره كما ذكرنا ذلك في نشأة قصي بن كلاب.

وقد قيل: بأن كلابا حفر بئرا يقال لها: خم، كان العرب يشربون منها في الجاهلية، ويقال: إنها لبني مخزوم، ويروى أن الذي حفرها عبد شمس بن عبد مناف أخو المطلب، والأرجح أنه كلاب، وحفر بئرين أخيرين هما رم والجفر، والآبار الثلاث خارج مكة.

وإلى كلاب بن مرة ينتهي نسب آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ وهو جد النبي ﷺ من قبل أبيه، وكلاب هو جد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وسعد بن أبي وقاص.

وقد شرف كلاب بن مرة وجل قدره، واجتمع له شرف الأب والجد من قبل أمه، لأنهم كانوا يجيزون الحج ويحرمون الشهور، ويحللونها، فكانوا يسمون النَسأة.



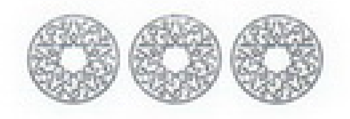


مـرة بـن كعـب

ويُكَنّى أبا يَقَظة وهو أشهر أولاد كعب بن لؤي، وأمه وحشية ابنة شيبان بن محارب بن فهر بن مالك؛ ويقال: مخشية، وأخواه لأبيه وأمه هُصَيص وعدي، وهو أشهر أولاد كعب، وأمه ماوية بنت القين بن جسر من قضاعة، كان مرة سيدا هماماً، تزوج هند بنت سرير بن ثعلبة من كنانة، فولدت هند لمرة كلابا، ثم تزوج مُرَّةُ بنت سعد بن بارق، فولدت له تيماً ويقظة، فتيم بن مرة رهط أبي بكر رضي الله عنه، وكان مرة قد عظم شرفه، وجل قدره، وجمع بين شرف الأب وشرف الجد من قبل أمه وحشية، ويقال: إن اسمها مخشية.

ويقال : إن كلابا ويقظة وتيمًا لأم واحدة هي مخشية بنت شيبان ، وقيل : إن أم مرة وهصيص مخشية بنت شيبان ، والله أعلم .

وتعوزنا المصادر عن مرة فلا تذكر عنه إلا النزر اليسير من الأخبار التي أوردناها عنه ، ولكنها تذكر شيئًا عن شرف جده لأمه وحشية أو مخشية على اختلاف في اسمها ، والأرجح وحشية والله أعلم .





كعب بن لؤي

ويُكَنَّى أبا هُصَيص، وأمه ماوية ابنة كعب بن القين بن جسر القضاعية، وله أخوان شقيقان لأمه وأبيه هما عامر وسامة، وأخوان لأبيه هما خزيمة وسعد، وقد شرف كعب وجل قدره، فهو أعلى أولاد أبيه قدرا، وأرفعهم شرفا، وهو أول من سمي يوم الجمعة بالجمعة، وكانت العرب تسميه عروبة، فجمع كعب فيه قومه، وكان يخطب فيهم فيقول: اسمعوا وتعلموا وافهموا، واعلموا أن الليل ساج، والنهار ضاح، والأرض مهاد، والسماء عماد، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، والأولون كالآخرين، فصلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمروا أموالكم، فهل رأيتم من هالك رجع، أو ميت نشر، الدار أمامكم، والظن غير ما تقولون، وحرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا به، فسيأتي نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم، ثم يقول:

نهار وليل كل يؤوب بحادث | سواء علينا ليلها ونهارها
يؤوبا بالأحداث حين يؤوبا | وبالنعم الضافي علينا ستورها
صروف وأبناء تغلب أهلها | لها عقد ما يستحيل مريرها
على غفلة يأتي النبي محمد | فيخبر أخبارا صدوقا خبيرها

وكان يقول :

يا ليتني شاهد نجوى دعوته | حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

تنصبت له تنصب العجل، وأرقلت إرقال الجمل فرحًا بدعوته، جذلا بصرخته، فلما مات كعب أرخت قريش بموته حتى عام الفيل، ويقال: إن بين موت كعب بن لؤي ومبعث النبي ﷺ خمسمائة عام.

وكان لكعب من الولد مرة وهصيص وأمهما وحشية ابنة شيبان بن محارب بن فهر بن مالك، وعدي بن كعب وأمه حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان، وعدي هذا هو رهط عمر بن الخطاب، وكان عمر من بني عدي، وبذلك يجمعه النسب بالنبي ﷺ في جده كعب.





لـؤي بـن غالـب

ويُكَنَّى أبا كعب ، أمه عاتكة ابنة يخلد بن النضر بن كنانة ، وهي أولى العواتك من قريش اللائي هن جدات النبي ﷺ وروي أن أمه سلمى بنت عمرو بن ربيعة .

كان للؤي أخوان من أبيه وأمه سلمى ، يقال لأحدهما تيم الأدرم ، والأدرم : الذي لا أسنان له- والدَرَمُ نقصان في الأسنان- وأخوه الآخر قيس بن غالب ، وقيل : إن قيسًا لم يبق من ذريته أحد ، هلك آخر رجل منهم في زمان خالد بن عبد الله القسري ، فلم يوجد لميراثه من يأخذه .

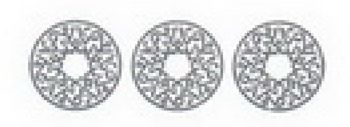
ويقال : إنه سمي لؤيا لأنه كان حليمًا ، وقيل : إنه سمي لؤيًا تصغيرًا لكلمة

لأي وتعني البطء والآناة متأنيًا بطيئًا، ومن حفيداته سودة بنت زمعة زوجة النبي ﷺ ورضي الله عنها.

كان لؤي بن غالب سيدا شريفا، ظهر فضله في قومه وبين الناس، ويروى أنه قال لأبيه غالب وهو غلام حدث: يا أبه رب معروف قل إخلافه، ونصر يا أبه من أخلفه أخمله، وإذا أخمل الشيء لم يذكر، وعلى المولى تكبير صغيره ونشره، وعلى المولى تصغير كبيره وستره.

فقال له أبوه غالب: يا بني إني استدل بما تقول على فضلك، وأستدعي لك به الطَّوْلَ في قومك، فإن ظفرت بطول فعد على قومك، واكفف غرب جهلهم بحلمك، والمم شعثهم برفقك، فإنما الرجال بأفعالهم فإنها على أوزانها، وأسْقِط الفضلَ، ومن لم تعلُ له درجة على آخر لم يكن له فضل، وللعليا أبداً على السفلى فضل.

كان للؤي بن غالب من الولد كعب وعامر وسامة وخزيمة، وأمهم عائذة، وعوف والحارث وجشم وأمهم ماوية بنت كعب بن القين، وسعد بن لؤي وأمه يسرة بنت غالب بن الهون.





غالب بن فِهر

ويُكَنَّى أبا تيم، وأمه ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس ابن مضر، وهو أفضل أولاد أبيه، وكان له ثلاثة إخوة هم الحارث ومحارب وجندلة، وكان غالب أفضل إخوته وأظهرهم مجدا، وكان أحب إخوته إلى أبيه.

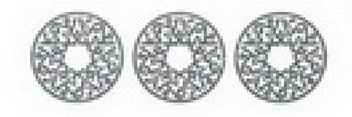
ويروى أن أباه فِهرا لما حضرته الوفاة أوصاه فقال: أي بني: إن في الحذر إنغلاق النفس، وإنما الجزع قبلَ المصائب، فإذا وقعت مصيبة بَرَدَ حرُّها، وإنما القلق في غليانها، فإذا قامت فَبَرِّدْ حر مصيبتك بما ترى من وقع المنية أمامك وخلفك وعن يمينك وشمالك، وما ترى من آثارها من محق الحياة، ثم اقتصر على

قليلك وإن قلت منفعته، فقليل ما في يدك أغنى لك من كثير مما أخلق وجهك إن صار إليك.

وقد صار إليه شرف أبيه بعد موته، وعلا شأنه، وكان له من الولد لؤي وتيم الأدرم، وأمهما عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة.

وله من الولد أيضا كنانة وتغلب ووهب وكثير وحراف، وهولاء لا عقب لهم، فأما تيم الأدرم فله عقب.

فلما مات غالب بن فهر قام ابنه لؤي بن غالب مقامه، وعلا أمره





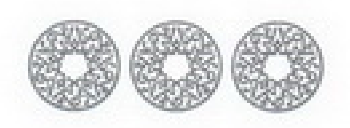
فِهر بن مالك

ويُكنَّى أبا غالب، وهو جماع قريش في قول هشام الكلبي، أمه جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر، وعند ابن إسحاق: أمه جندلة بنت الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمي، وقال معمر بن المثني: أمه سلمى بنت أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر.

وقيل: إن أباه سماه فِهراً لأنه كان ظاهر الطول حين ولد، وسمته أمه قريشاً، وقيل: لأنه كان يقرش الناس، ويفتش على حاجاتهم، ويسعى لقضائها، وكان أولاده يسعون معه في حوائج الناس ويرفدونهم، وفِهر بن مالك هو الجد الجامع لقريش، فما فوقه لا يسمى قرشياً، بل كناني.

وقد قرأنا وصيته لابنه غالب حين حضرته الوفاة في ترجمة غالب السابقة، مما يدل على وفور عقله، وعمق تجربته وخبرته في الحياة، وعلى عزة نفسه، وزهده في الدنيا حين قال لولده في وصيته: ... ثم اقتصر على قليلك وإن قلت منفعته، فقليل ما في يدك أغنى لك من كثير مما أَخْلَقَ [1] وجهك إن صار إليك.

وكان فهر في زمانه سيد الناس في مكة والحرم، فقد روى ابن إسحاق أن فهرا جمع تحت لوائه قريشا، وكنانة، وخزيمة، وأسد، وجذام، ومن كان معهم من أفناء مضر، وخرج بهم لحرب حسان بن عبد كلال الحميري حين نزل بنخلة فأغار على سرح الناس، ومنع الطريق، وكانت معه قبائل حمير يريد أن ينقل أحجار الكعبة إلى اليمن ليجعل الحج إلى بلاده ولكنه خاف أن يدخل مكة، وكان فهر رئيس الناس يومئذ فخرج بمن كان تحت لوائه، وقاتل حسان ومن كان معه من حمير قتالاً شديداً، فهزمت حمير، ووقع ملكهم حسان بن عبد كلال في الأسر وبقي في الأسر ثلاث سنين، وكان الحارث بن فهر هو الذي أسره، وقتل في الحرب فيمن قتل حفيده ابن قيس بن غالب وظل حسان في مكة أسيرا، حتى افتدى نفسه منهم، فلما أطلق سراحه مات وهو عائد إلى بلاده بين مكة واليمن.



(١) الثوب الخَلَقُ: البالي، والوجه الخلق: الذي يجعل صاحبه في حرج من المعرة.



مالك بن النضر

ويُكَنَّى أبا الحارث، أبوه النضر بن كنانة بن خزيمة، وأمه عاتكة بنت عدوان، وقيل: إن اسمها عكرشة بنت عدوان، وقيل إن عكرشة لقب عاتكة، وقيل: إن أمه هند بنت فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار.

ويقال: إن اسم مالك بن النضر قريش، وله أخوان هما يخلد، والصلت، تزوج مالك بن النضر جندلة ابنة الحارث بن مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي، وكان له من الأولاد فهر، والحارث، وشيبان، وأمهم جندلة ابنة الحارث بن مضاض؛ وبه سميت قريش.

وقيل: سميت قريش بقريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، به سميت

قريش، لأن عير بني النضر كانت تسمى عير قريش. وكان قريش دليل بني النضر في أسفارهم وصاحب ميرتهم.

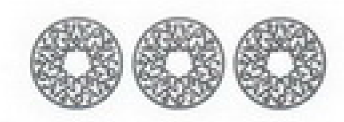
وقيل: سميت قريش قريشا بدابة تكون في البحر تأكل دواب البحر، تدعى القرش، فشبه بنو النضر بهذه الدابة لأنها أعظم دواب البحر

وقيل: إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشا، وقيل: إن الذي سميت به قريش هو قصي بن كلاب، لأن التقرش هو التجمع، فقالت العرب: تقرش بنوا النضر، أي تجمعوا.

أما أخوا النضر فإن يخلد بن النضر دخل بنوه في بني عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة فخرج أولاده من جماع قريش.

أما أخوه الصلت فلم يبق من ذريته أحد.

وظلت السيادة في قريش في مالك بن النضر، فكان مهابا مطاعا في قومه، فإنه صار ملك العرب.





النضر بن كنانة

أُمُه برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، واسمه قيس ؛ كان النضر أول من سمي القرشي ، سمي بذلك لتقرشه وارتفاع همته .

وقيل : لتجارته ويساره وكثرة أمواله ، وقيل : لدابة في البحر تسمى القرش ، سمته أمه قريشًا تصغير قرش ، فمن لم يكن من ولد النضر بن كنانة ، فليس بقرشي ، فولد النضر بن كنانة مالكًا ويخلد والصلت .

تزوج النضر عكرشة بنت عدوان ، وقيل : عاتكة بنت عدوان فولدت له ثلاثة من ولده هم : مالك ويخلد ، والصلت ، ولم يبق من ولد الصلت أحد ، أما

يخلد فدخل بنوه في بني عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة، فخرج أولاده من جماع قريش.

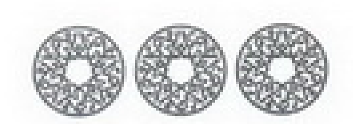
وقيل: إن ولد الصلت صاروا في خزاعة، وكان من ولده كثير بن عبد الرحمن الشاعر، وهو الذي يقول في الاعتزاز بنسبه:

أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي ... بكل هجان من بني النضر أزهرا

والنضر بن كنانة هو أول من جعل الدية مائة، ويقال: أول من جعلها مائة عبد المطلب بن هاشم لأنه فدى ابنه بمائة.

وروي أنه سمي النضر لنضارته وجمال صورته، ويكّنى أبا يخلد.

أما إخوته لأبيه وأمه فهم: نضير، ومالك، وملكان، وعامر، والحارث، وعمرو، وسعد، وعوف، وغنم، ومخرمه، وجرول، وغزوان.





كنانة بن خزيمة

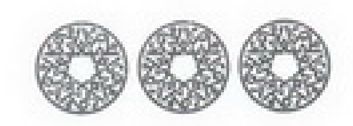
ويُكنى با النضر، أمه عوانة بنت سعد بن قيس عيلان، وقيل: إن أمه هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان، وإخوته من أبيه: أسد وأسدة، ويقال: إن كنانة أبو جذام والهون من زوجته برة بنت أد بن طابخة، وكانت برة زوجة أبيه خزيمة فتزوجها كنانة بعد أبيه فولدت له النضر بن كنانة، وكان الولد يتزوج زوجة أبيه بعد وفاته فلما جاء الإسلام حرم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (النساء،٢٢).

كان كنانة بن خزيمة ذا فضائل كثيرة، وقد عظمته العرب، ومما روي عنه إنه أتي وهو نائم في حجر الكعبة فقيل له: تخير يا أبا النضر بين الصهيل والهدر، أو

عمارة الجدر، أو عز الدهر، فقال: كل هذا يا رب، فأعطيه كله؛ فصار هذا كله لقريش، فولد كنانة النضر، وصدال، وسعدا، ومالكا، وعوفا، ومخرمة، وأمهم هالة بنت سويد بن الغطريف.

روى الحسن بن سلام الأشبيلي أن عامر العدواني قال لابنه في وصيته: يا بني أدركت كنانة بن خزيمة وكان شيخا عظيما مسنًا عظيم القدر، وكانت العرب تجمع إليه لعلمه وفضله، وقد قال: إنه قد آن خروج نبي من مكة، يدعى أحمد؛ يدعو إلى الله، وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق، فاتبعوه تزدادوا شرفًا وعزًا إلى عزكم.

ولعل علم هذا قد سمعه العرب مما جاء في التوراة والإنجيل أنه سيبعث نبي في مكة من ولد إسماعيل عليه السلام.





خزيمة بن مدركة

أُمُه سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار، وكان خزيمة أحد حكماء العرب، ومن أهل الفضل والسؤدد، وقيل: إن أمه سلمى بنت سليم بن الحاف بن قضاعة.

وقيل: إن أم خزيمة سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار، وأخوه لأمه وأبيه هذيل، وأخوه لأمه تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة.

وأما ولده فكنانة من زوجته عوانة بنت قيس بن عيلان، وله ولدان آخران هما:

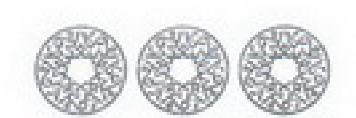
الأسد والهون وأمهما مرة بنت مر بن إد بن طابخة أخت تميم بن مر .

وقد انتشر أولاد أسد بن خزيمة في اليمن ، وهم جذام ولخم . . . .

وكان خزيمة على ما بقي من ملة إبراهيم عليه السلام ، وقد قيل فيه :

أما خزيمة فالمكارم جمة　　　سبقت إليه وليس ثم عتيد

وروى بن حبيب بسند جيد عن ابن عباس أنه قال : مات خزيمة على ملة إبراهيم عليه السلام .





مدركة بن إلياس

واسمه عمرو، وقيل: اسمه عامر، وأمه خندف، وهي ليلى بنت حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة.

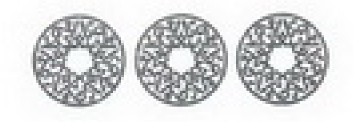
وأمها ضربة بنت ربيعة بن نزار، وإخوة مدركة لأبيه وأمه: عامر – وهو طابخة – وعمير، ويقال: إنه أبو خزاعة.

وكان اسم مدركة عامراً، واسم طابخة عمراً.

وروي أن عامرا وعَمْرا كان يرعيان إبلا فاقتنصا صيدا، فقعدا عليه يطبخانه، وعدت عادية على إبلهما، فقال عامر لعمر: أدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد؟

فقال عمرو : بل أطبخ الصيد ، فلحق عامر الإبل فجاء بها جميعا ، فلما ذهبا إلى أبيهما فحدثاه بشأنها ، فقال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة .

وعن هشام بن محمد أن إلياس خرج نعجة له فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عامر فأدركها فسمي مدركة ، وأخذها عمرو فطبخها فسمي طابخة ، وانقمع عمير في الخباء فلم يخرج سمي قمعة ، وخرجت أمهم تمشي ، فقال لها زوجها إلياس : أين تخندفين؟ فسميت خندف .





إلياس بن مضر

واسمه عامر، اختلف في أمه فقيل: أمه الحنفاء بنت إياد بن معد، وقيل: أمه جرهمة، وقيل: أمه الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان.

وكان إلياس رجلا حازمًا قويًا، وكان قريبًا من جده إسماعيل؛ فشرف وبان فضله، فأنكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم حتى رجعت سننهم تامة على ما كانت عليه، وبان فضله عليهم، ولان جانبه لهم، واجتمعوا على رأيه، ورضوا به رضى لم يرضوه بأحد من ولد إسماعيل، وهو أول من أهدى البدن إلى البيت، أو أن ذلك حدث في زمانه، وقيل: إنه أول من وضع الركن للناس (الحجر الأسود) في مكانه بعد أن غَرِقَ البيتُ وانهدمَ زمنَ نوحٍ عليه السلام، فكان إلياس

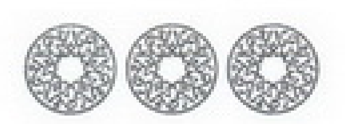
أول من عثر عليه، وربما عثر عليه في زمانه فوضعه في زاوية البيت، وقيل: إنما هلك -ضاع- الركن بعد إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- وهذا الأولى والأشبه.

وقد عظمت العرب إلياس بن مضر تعظيم أهل الحكمة كلقمان وأشباهه، ويقول السهيلي في الروض الأنف:

ويذكر أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا**»، وفي رواية: «**إنهما كانا على ملة إبراهيم**».

ويروى مثل ذلك عن أبيه مضر وأنه ﷺ قال فيه: «**لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين**».

ويروى أن إلياس قد أصابه السل حتى مات به، وقيل: إنه توفي يوم الخميس، فقالت امرأته خندف: لئن مات إلياس فلن يظلها بيت، فلما مات خرجت سائحة في الأرض حتى هلكت حزنا عليه، وكانت تبكيه كل يوم خميس حتى تغيب الشمس، فصارت مثلاً(١).



(١) تاريخ اليعقوبي ج ٨ ص ٤٢٨.



مضر بن نزار

ويُكنَّى أبا عمرو، وقيل: أبو عبد الله، وقيل: أبو إياد، وأمه سودة بنت عبد عك ابن عدنان بن أد، وقيل: أمه شقيقة بنت عك بن عدنان، وهو وأخوه إياد شقيقان.

وقيل: إن قريشاً تجتمع فيه، وله إخوان من أبيه هما ربيعة وأنمار، أمهما شقيقة بنت عك بن عدنان، وقيل: إنه سمي مضر لبياض لونه من مضيرة الطبيخ، والمضيرة مريقة تطبخ باللحم واللبن الصريح الصافي، وفي اللسان لابن منظور أن مضر علم أعجمي، وهو على وزن عُمَر، ممنوع من التنوين.

وقيل: إنه كان يمضر قلب من رآه لحسنه وجماله. ويقال: إن مضر أول من حدا للإبل، وكان حسن الصوت جداً، وقد سقط عن بعيره فكسرت يده فحملوه

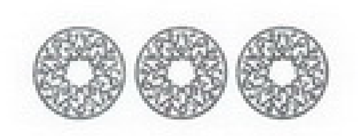
على بعيره وسارت الإبل فأخذ يقول عن أمله : وا يداه وا يداه فطربت الإبل لجمال صوته، ونشطت في سيرها، فأصبحت العرب تحدو بحدائه، وفي الروض الأنف للسهيلي عن عبد الله بن خالد أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا مضر، ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين**»، وروي مثل ذلك عن سعيد بن المسيب مرسلاً. وفي حديث آخر: «**فإنهما كانا على دين إبراهيم عليه السلام**».

كان مضر سيد ولد أبيه، وكان كريمًا حكيمًا، وكان لمضَرَ فراسة وحكم، ومن كلامه الذي يدل على عقله قوله: من يزرع شراً يحصد ندامة، وخير الخير أعجله، فاحملوا أنفسكم على مكروهها، فيما أصلحكم، وأصرفوها عن هواها فيما أفسدكم، فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر ووقاية.

وأولاد مضر بن نزار: إلياس، وعيلان وأمهما الحنفاء بنت إياد بن معد، وقيل: أمهما الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان.

وقد انتشر ولده وكثروا، وصار لهم العدد الكثير والمنعة، ومن ولده جماهير قبائل قيس بن عيلان، وعدوان بن عمر بن قيس، وفهم بن عمرو بن قيس، وفزارة ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وسليم بن منصور، وعامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وسلول بن صعصعة بن معاوية، وثقيف وهو قسي بن منبه ابن بكر، وكلاب بن ربيعة، وعقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر، وقشير بن كعب بن ربيعة، والبكاء بن عامر بن ربيعة.

وكانت الرئاسة والحكومة في قيس، ثم انتقلت في عدوان، ثم صارت في فزارة، ثم صارت في عبس، ثم صارت في بني عامر بن صعصعة ولم تزل فيهم.





نزار بن مَعَدّ

ويُكَنَّى أبا إياد، وقيل: كان يكنى أبا ربيعة، وقيل: بل أبا قضاعة وهو الأظهر والله أعلم، وأمه معانة بنت جوشم بن جلهمة بن عمرو، وقيل: أمه ناعمة بنت جوشم، وهي من جرهم، وكان والده معد يكنى أبا نزار، وله أربعة عشر أخًا شقيقًا وأختا شقيقة كلهم لأم واحدة هم: قنص، وقناصة، وسنام، وحيدان، وحيدة، وحيادة، وجنيد، وجنادة، والقحم، وعبيد الرماح، والعرف، وشك، وقضاعة.

وقيل: إنه كان فريد عصره في جماله وإن النور كان باديًا بين عينيه، وإن أباه فرح بولادته فرحًا عظيمًا، ونحر الإبل وأطعم الطعام، وقال: هذا نزر في حق هذا الغلام فسمي نزارًا.

كان نزار سيد ولد أبيه وعظيمهم، وقد عاش في مكة، وكان له من الولد أربعة هم: مضر وإياد، وربيعة، وأنمار، وأمهم سودة بنت عك بن عدنان، ويقال: إن أم مضر وإياد حبية بنت عك بن عدنان، وأم ربيعة وأنمار جدالة بنت وعلان بن جوشم الجرهمي، ولما حضرت الوفاة نزاراً قسم ميراثه على أولاده الأربعة؛ فأعطى مضر وإيادا وربيعة وأنمارا ماله كله، وأعطى أنمارا جارية له تسمى بجيلة فسمي بها.

وتزوج أنمار في اليمن فانتسب ولده إلى الخؤولة، فمنهم بجيلة وخثعم.

وأما ولده ربيعة بن نزار فإنه فارق إخوته فذهب إلى بطن عرق إلى بطن الفرات، وانتشر ولد ربيعة بن نزار وولد ولده حتى كثروا وامتلأت منهم البلاد وكثرت عشائرهم وقبائلهم.

وكانت لربيعة أيام مشهورة معروفة كان لهم الظفر في أكثرها، منها يوم السلان بين مذحج وأولاد معد فهزموا مذحجا وكان لهم النصر والظفر.

ومنها يوم خزاز بين جموع من اليمن جاءت تريد ولد معد فالتقوا وعلى رئاسة ولد معد كليب فالتقوا بخزاز فهزمت جموع اليمن.

ومنها يوم الكلاب كانت بين سلمة بن الحارث وأخيه شرحبيل بن الحارث ابن عمرو الكندي، وانحازت قيس مع شرحبيل وانحازت ربيعة مع أخيه سلمة، فكثرت ربيعة عدداً على قيس فقتلت ربيعة شرحبيل بن الحارث بن عمرو وكان النصر لربيعة[1].

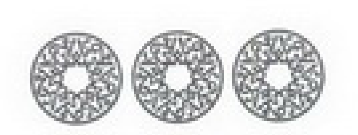
ومن الأيام أيضًا يوم البسوس ويوم ذي قار، فأما البسوس فبين بني شيبان وتغلب، وسببها أن جساسًا قتل زهير بن جشم الكلبي فنشبت الحرب واستمرت أربعين سنة هلك خلالها الكثير من شيبان وتغلب.

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٢٢٥.

وأما يوم ذي قار فكانت بين الفرس وقبائل شيبان مجتمعة، وسببها أن كسرى أبرويز قتل النعمان بن المنذر ملك المناذرة وأرسل إلى هانئ بن مسعود يطلب ودائع النعمان التي عنده وفيهم ابنة النعمان ودروعه وسلاحه وأمواله، فرفض هانئ أن يسلمه ما يريد فقامت الحرب، واجتمعت قبائل شيبان تحارب مع هانئ بن مسعود، واجتمعت الفرس مع من معها من قبائل العرب، فالتقوا بذي قار وحاربوا الفرس وهزموهم، وكان أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم.

وأما إياد بن نزار فنزل اليمامة فولد له أولاد كثيرون وانتسبوا إلى قيس، وكانت ديار إياد بعد اليمامة الحيرة فنزلوا الخورنق والسدير، ثم إن كسرى أجلاهم عن ديارهم فأنزلهم تكريت، ثم أخرجهم منها إلى بلاد الروم فنزلوا بأنقرة، وكان رئيسهم ذلك الحين كعب بن مامة، ثم خرجوا بعد ذلك، وجماهير قبائل إياد بطون مالك، وحذافة، ويقدم، ونزار.

وكانت قريش وبنو معد كلهم على بعض دين إبراهيم، يحجون البيت، ويقيمون المناسك، ويقرون الضيف، ويعظمون الأشهر الحرم، وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم، ويعاقبون على الجرائم، فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة على البيت، وكان آخر من قام على الحرم من ولد معد ثعلبة بن إياد بن نزار بن معد، فلما خرجت ولاية البيت من إياد ووليت خزاعة حجابة البيت غيروا بعض ما كان عليه الأمر في المناسك، حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب، ومن جمع قبل أن تطلع الشمس.





مَعَدّ بن عدنان

ويُكنَّى أبا نزار، وقيل: أبو قضاعة، أمه تيمية بنت يشجب بن يعرب بن قحطان، وقيل إن أمه مهدد بنت اللمم بن جلحب.

تزوج معد معانة بنت جوشم بن حليمة بن عمرو، وقد ولدت له زوجته معانة أربعة عشر ولدا وهم: نزار، وقنص، وقناصة، وسنام، وحيدان، وحيدة، وحيادة، وجنيد، وجنادة، والقحم، وعبيد الرماح، والعرف، وشك، وقضاعة.

ولم يبرح معد الحرم فعاش فيه، وقيل: كان أول من وضع رحلاً على جمل وناقة، وقد لحق أكثر ولده باليمن، وتكاثروا هنالك وصارت لهم فيها قبائل وبطون وعشائر كثيرة.

كان معد بن عدنان أشرف أولاد أبيه، وأشهر ولد إسماعيل في عصره، وكانت أمه من جرهم، وكان له عشرة من الأولاد الذكور، وأربع إناث كما سلف قريبًا.

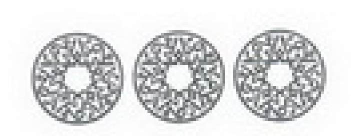
وله إخوة من أبيه وأمه هم: الديث بن عدنان، وقيل: الديث هو عك بن عدنان، وعدن بن عدنان، وقد ذكر بعض أهل الأنساب أن عدن صاحب عدن التي في اليمن وأنها تنسب إليه، وأن أهلها من ذريته.

وأخوه الثالث هو أبين، وقد زعم بعض النسابين أن أبين التي في اليمن تنسب إليه، وأن أهلها كانوا من ذريته، تكاثروا هناك.

وأخوه الرابع أد بن عدنان، وأخواه الخامس والسادس الضحاك والعي، وأمهم جميعا هي أم معبد.

وقال بعض النسابة: إن عكًا ذهب إلى سمران من أرض اليمن، وأنه ترك أخاه معدًا في الحرم، وأنه لما خرج من الحرم حين اقتتل أهل اليمن ثم عاد فوجد إخوته وعمومته من أبناء عدنان قد لحقوا باليمن، وتزوجوا فيهم، وتعطفت عليهم اليمن لأنهم من جرهم، وقد تأسف بعض شعرائهم لذلك فقال:

تركنا الديث إخوتنا وعكًا ... إلى سمران فانطلقوا سراعا
وكانوا من بني عدنان حتى ... أضاعوا الأمر بينهم فضاعا





عدنان بن أد

اتفق النسابون على أن نسب النبي ﷺ إلى عدنان، ولم يختلفوا في ذلك، وأما ما بعد عدنان فغير متفق عليه، فهو على ما ذكرنا من نسبه الطيب المبارك، وما بعد عدنان غير متفق عليه.

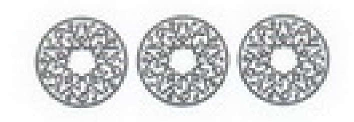
قال ابن إسحاق: عدنان -فيما يزعم النسابون- هو عدنان بن أد بن مقرم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-.

فيكون بين عدنان وإسماعيل سبعة أجداد لم تعرف أخبارهم، ولا يعرف منهم إلا النزر اليسير، وعنهم إلا قليل من الأخبار.

ويقول بعض النسابة : إن عدنان بن ميدع بن منيع بن أد بن كعب بن يشجب ابن يعرب بن الهميع بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- .

وعلى هذه الرواية يكون بين عدنان وإسماعيل ثمانية أجداد إسماعيل ثامنهم والله أعلم .

كان عدنان أشرف ولد إسماعيل في زمانه وأشهرهم ، وكانت أمه من جرهم ، وقد لزم الحرم فلم يبرحه ، وكان له عشرة أولاد أشهرهم مَعَدّ بن عدنان ، وكان عدنان أول من كسا الكعبة ، وهو الذي انقطع عنده النسب الشريف بينه وبين إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- .



بين يدي آدم عليه السلام

هل كان هناك خلق قبل آدم عليه السلام..؟

الأرض كانت بصريح القرآن معمورة بخلق قبل آدم قطعا، والملائكة سبقوا آدم عليه السلام في الخلق، وكذلك الجان وأمم غيرهم فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء فأهلكهم الله وطرد الجان إلى الجزائر والجبال، ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ (الحجر:٢٧).

فخلق آدم عليه السلام وسواه ونفخ فيه من روحه وعلمه اللغات وعلمه أسماء المسميات في كافة اللغات، ولذا لما خاطب الله الملائكة؛ قال: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ قالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قالوا ذلك مستفسرين عن الحكمة في هذا الخلق لا معترضين فكان الجواب: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٣٠).

فآدم عليه السلام هو أبو البشر، وأولهم خلقا، وأسبقهم علما، ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة:٣١).

أي أسماء المسميات في كافة اللغات وقال للملائكة: أنبئوني بأسماء هؤلاء، قالوا: ﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة:٣٢). قال: ﴿ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم ﴾ (البقرة:٣٣).

حتى يعرف الملائكة منزلة آدم عليه السلام وأنه أعلم منهم ﴿ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة:٣٣). ولما أظهر سبحانه وتعالى للملائكة علم آدم عليه السلام وأنه فضله عليهم بالعلم أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس لم يكن من الساجدين حسدا، وبغيا، وكفرا، وعنادا فحقت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين.

ولقد كرم الله آدم بالوعي العاقل، والعلم المنظم الذي يؤكد اكتمال العقل، مما لا يوجد عند بقية مخلوقات الأرض، وبه أدرك خطأه فاستغفر ربه، فآدم بهذا مخلوق عاقل مميز يوازن بين الأمور، ويستشف النتائج، فهو يتميز عن كل مخلوقات الأرض منذ خلق بجمال الصورة، واستواء القامة، وكمال العقل، وتحصيل المعرفة، والحياء مما لا يليق، والاعتذار عن الخطأ، وإجادة التعبير باللغة عما يريد، ويعرف بتعليم الله له كل شيء حوله.

وقد خلق آدم عليه السلام مكتمل الخلق، سوي الإدراك، طلق اللسان، حسن الصورة على نفس صورة الإنسان ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (الحجر:٢٩). سواه ونفخ فيه من روحه وخلقه ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين:٤).

وخلق الله لآدم عليه السلام زوجته حواء وقال له: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة:٣٥). فتظاهر إبليس بالبكاء عليهما حيث حرما من الأكل من

الشجرة، وأنهما سيموتان، وهذه الشجرة شجرة الخلد، وأقسم لهما بأن أكلهما من الشجرة يجعلهما ملكين، ويكونا من الخالدين، وقاسمهما أيضا بأنه لهما من الناصحين، ولم يكن يعرف أحد أن أحدا يحلف بالله كاذبا فصدقا، وظنا بأن النهي عن الأكل من الشجرة نسخ، أو أنه مكروه تنزيها فقط لا محرما وأكلا من الشجرة، فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليها من ورق الجنة، وكانت الأشجار تبتعد عنهما لمخالفتهما الأمر، والله أمر شجرة التين أن تسمح لهما بأخذ ورقها ليسترا عوراتهما فشجرة التين صديقة بني آدم عليه السلام.

ولما عرف سيدنا آدم وأمنا حواء بأنهما وقعا في الخطيئة قالا بإلهام من الله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف:٢٣)، فقبل توبتهما، وعفا عنهما، وأمرهما بالهبوط إلى الزرض وسكناها، وهكذا صار آدم عليه السلام خليفة الله في الأرض.

وولدت أمنا حواء من آدم عشرين بطنا تسعة عشر نوعا (ذكر أو أنثى) وواحد ولد فيه سيدنا شيث عليه السلام وأباح الله الزواج لكل واحد بأخته غير التوءم التي جاءت معه.

ولما قتل قابيل هابيل وقُتل قابيل تزوج شيث عليه السلام أخت هابيل، ولم يمت سيدنا آدم عليه السلام حتى أصبح من ذريته أربعون ألفا فكان سيدنا آدم رسول الله إليهم، وقد أوتي سيدنا آدم الجمال كله لأن الله خلقه بيده فلا يوجد أجمل منه إلا محمد ﷺ. وسيدنا يوسف أوتي نصف الجمال.

وكان آدم نبي أبنائه وأحفاده يعلمهم ما علمه الله، وكان في أبنائه من قام بهذا الأمر من بعده وهو ولده شيث الذي كان نبيا أيضا. ولما تكاثرت ذريته وتباعدت بطون منها في جوانب الأرض، وغابت عن أبناء عمومتهم نسيت أجيال منهم

مواريث آدم، وتغيرت ألسنة كل قبيلة منها بما استمسكت به من لغات آدم التي علمه الله إياها، وأثرت كل بيئة فيمن عاشوا فيها، فاختلفت الألسن، والطباع، والعادات، ونسيت أمور كثيرة لم تكن في البيئة، أو تستدعيها الحاجات أو الأحداث، فاختلفت الخبرات والثقافات وغابت عن كثير منهم شريعة آدم عليه السلام والأنبياء من بعده حتى جاء إدريس نبيا ورسولا، وبعد وفاته قامت عقائد باطلة وعبادات فاسدة، وظهرت عبادة الأصنام ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا رجالا صالحين كلما توفوا عملوا لهم قبورا فخمة يزورونها ويعظمونها فانتقل بهم الأمر إلى وضع تماثيل لهم كانت هي الأصنام -كما سيأتي- فأرسل الله إليهم نوحا عليه السلام. فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام فلم يجبه إلا القليل وقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ (نوح،٥).. وأوحي إلى نوح عليه السلام إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فدعا عليهم وقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ (نوح،٢٦)، ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾ (نوح،٢٧). فأمره الله بصنع السفينة وأن يحمل من كل زوجين اثنين فكانوا ثمانين كل واحد مع زوجته، ومن الحيوانات والحشرات والطيور كذلك[1].

وقال نوح لابنه كنعان ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود،٤٢-٤٣).

ولقي قوم نوح مصرعهم وماتوا ولم يبق في السفينة إلا نوح وأولاده الثلاثة وزوجاتهم والمؤمنون وزوجاتهم وقيل لنوح: اهبط بسلام إلى الأرض أنت ومن معك وقد جاء في الروايات الصحيحة أن المؤمنين والمؤمنات ماتوا وانقطعت ذريتهم ولم يبق إلا أولاد نوح الثلاثة: سام أبو العرق الأبيض وحام أبو الزنوج ويافث أبو

---

(١) يعني كل ذكر معه أنثى.

العرق الأصفر، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (الصافات:٧٧)، ومع أن القرآن الكريم يؤكد أن دور الأنبياء قد غطى كل أمة عاشت في أي مكان، من أي فرع من أبناء نوح الذي جعل الله ذريته هم الباقين، فإن النصوص لم تذكر لنا إلا القليل منهم بالاسم، فلا نكاد نجد من بعد نوح إلا اسمي هود وصالح -عليهما السلام-، ثم جاء من بعدهم إبراهيم الخليل عليه السلام الذي جعل الله في ذريته النبوة، ومنه أتت شعبة أبناء بكره إسماعيل، وهم العرب، وشعبة أبناء ولده إسحاق وهم بنو إسرائيل، وتسلسلت النبوة تترى في بني إسحاق، وكمنت في بني إسماعيل فلم يبعث الله فيهم نبيا إلا خاتم المرسلين، وقد ختمت نبوات بني إسحاق بعيسى عليه السلام فليس بينه وبين نبينا ﷺ نبي ولا رسول، كما أخبر بذلك، وكما جاء في القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (الصف:٦).

وشاءت إرادة الله أن ينحصر البشر من بعد نوح في ذريته ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (الصافات:٧٧)، وأن يحصر النبوة والرسالة من بعد نوح في ذرية إبراهيم[١]، وختم نبوات بني إسحاق بعيسى عليه السلام، وحصر النبوة والرسالة من ذرية إسماعيل (العرب) في سيدنا محمد ﷺ، وختم بها النبوات، وأتم بها نعمة الرسالات، وأكمل بها دينه الواحد الذي نادى به كل نبيٍ ورسول، ألا وهو الإسلام.

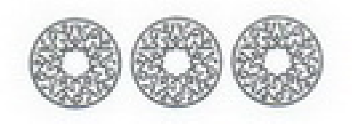
وقد ورد في القرآن أسماء خمسة وعشرين منهم، من كفر بواحدٍ منهم فقد كفر بهم أجمعين، وورد من أسمائهم ثمانية عشر اسمًا في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ

---

(١) هم: يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، ذو الكفل، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، عيسى -عليهم الصلاة والسلام-.

وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:٨٣-٨٦)، والباقون هم: إدريس، هود، شعيب، صالح، ذو الكفل، آدم، محمد -صلى الله عليهم أجمعين-.

والذي يدخل في عمود النسب الشريف من هؤلاء خمسة وهم آدم، إدريس، نوح، إبراهيم، إسماعيل -عليهم الصلاة والسلام-، والسادس هو شيث الذي لم يرد اسمه في القرآن الكريم.



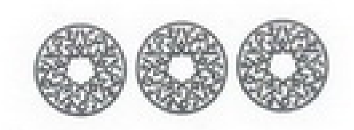
رأس النسب آدم عليه السلام

آدم عليه السلام سُمِّي بذلك لأنه خُلق من أديم الأرض على اختلاف طبائعه، وألوانه، سهله، وحزنه، أبيضه وأحمره، وأسوده، ولذلك جاء أبناؤه متفاوتين في اللون والطبع، وليس اختلاف اللون بسبب تلك الأسطورة الإسرائيلية التي تزعم أن نوحاً تعرى في نومه فنظر حام إلى عورته، بينما ستره سام فلعن حاماً وقال له: عبد العبيد تكون لإخوتك، فاسوّد وجهُه ووجه ذريته.

وهذا زعم واضح فيه الرغبة في رفع قدر الساميين على إخوتهم، ويتفق مع محاولة اليهود الانفراد بالنسبة إلى سام وما يرددونه في أساطيرهم من أنهم جنس أعلى من البشر، وأن غيرهم ليسوا إلا حيوانات خلقت لخدمتهم، رغم أن النسابين في أصل الأجناس ينسبون إلى سام العرب وغيرهم، ومثل هذه الفرية ما زعموا من هبوط آدم مطروداً من الجنة لخطيئته، وأن ذريته تحمل خطيئته من بعده، وهي الفرية التي رتب عليها شاول (بولس) اليهودي الذي كان يطارد المسيح ويحاربه، رتب عليها قصة الصلب، وزعم أنها فداء من المسيح للبشر تكفيراً عن خطيئة آدم عليه السلام،

وبنى عليها ألوهية المسيح، والله قد أنزل تكذيب هذا الزعم في القرآن: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء، ١٥٧)، ولو صدق قوله في هذا الفداء المزعوم، لكان كل الأنبياء الذين جاؤوا قبل عيسى عليه السلام قد ماتوا وهم يحملون وزر خطيئة آدم عليه السلام المزعومة، لأنهم لم يدركوا هذا الفداء، ولا سمعوا به.

وحسبنا هنا ما ذكرناه عن آدم عليه السلام من الروايات المتعددة لأن ما ذكرناه هو المتطابق مع ما نص عليه كتاب الله العزيز مما لا حاجة لنقل سواه من الروايات، لاعتقادنا أنها تشمل على كثير من الإسرائيليات، التي لا تزيد الأمر إلا تعقيداً لا طائل له، ولا فائدة منه، ومن نقله، وحسبنا أن قد توقفنا عند ما نحسب أنه المفيد، والله أعلم.



خلق آدم عليه السلام

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (الحجر:٢٨-٢٩).

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة:٣٠-٣٣).

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى

آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٣٤-٣٨).

ولقد كرم الله آدم عليه السلام فخلقه بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه جنته هو وزوجه حواء.

وقد نُهي عن الأكل من شجرة فيها، فنسي النهي عندما أقسم لهما إبليس أنها شجرة الخلد، فأكلا منها، فعاتبهما ربهما، فاعتذرا، واستغفرا، وأنابا، فغفر الله لهما وتاب عليهما، ولم يطردهما كإبليس من رحمته، وإنما كافأهما على توبتهما بأن أهبطهما إلى الأرض مستخلفين فيها تحقيقًا لقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠)، وإنما هبط إبليس ملعونًا لأنه لم يتب من ذنبه، ولم يعتذر عن مخالفته أمر ربه له بالسجود لآدم عليه السلام استكبارًا وعنادًا، وكذب الذين يزعمون أن آدم عليه السلام طرد لخطيئته، ونزل من الجنة بوزره، وأن أبناءه إلى الأبد يحملون وزره معهم؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (فاطر:١٨)، ولأن الله أخبر بأنه تاب عليه قبل أن يذكر أمر خروجه من الجنة، فكيف يعلن أنه تاب عليه ثم يعلن طرده عقوبة له: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(١) * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ (البقرة:٣٧-٣٨)، فهبوط آدم عليه السلام هبوط استخلاف، وهبوط إبليس هبوط طرد ولعن.

وقد أورد ابن كثير(٢) روايات كثيرة في خلق آدم عليه السلام منها: ما رواه أحمد بسنده إلى أبي موسى رضي الله عنه عنه يقول: **«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث، والطيب، والسهل، والحزن، وبين ذلك»**(٣).

---

(١) الكلمات: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(٢) البداية والنهاية: (١/٨٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤/٤٠٠-١٩٠٨٥) (٤/٤٠٦-١٩١٤٥) وأبو داوود (٤٦٩٣) والترمذي (٢٩٥٥) وقال: حديث حسن صحيح.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : «**لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى يرحمك الله**»، وفي الرواية الثانية : «**لما خلق آدم عطس فقال الحمد لله فقال له ربه: رحمك ربك يا آدم**» وبهذا نعلم أنه فطر مؤمنا، عالما، مبينا، كامل الحسن والخلق، عارفا بأن خالقه هو الله رب العالمين.

وروى أحمد عن ابن عباس[1] : إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٢-١٧٣)[2].

وأكثر الأقوال على أن آدم عليه السلام عاش ألف سنة، ويذكر الطبري أن حواء ولدت له أربعين ولدا في عشرين بطنا، في كل بطن ذكر وأنثى، إلا شيثا فقد ولد وحده، وقيل غير ذلك. والله أعلم.

---

(١) رواه النسائي.

(٢) عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان -يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا، قال،** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾». رواه الإمام أحمد في المسند (١١١٩١-٢٤٧/١) والحاكم في المستدرك (٤٠٠٠-٥٤٤/٢) وابن أبي عاصم الشيباني في كتاب السنة (٢٠٢/١) والطبري في التفسير (١٥٣٤٩-١١٠/٦) وفي التاريخ (٨٦/١) والحديث رجح الحافظ ابن كثير وقفه وصححه الحاكم، والألباني وفيه خلاف طويل، والله تعالى أعلم.

شيث بن آدم عليه السلام
أول الأنبياء بعد أبيه

شيث، وقيل: شياث بتنوين، ويقال أيضا: شيث بفتح الشين والتشديد للياء بلا تنوين، وتفسيره هبة الله، ويقال: عطية الله، وكان أجمل ولد آدم عليه السلام وأفضلهم وأشبههم به وأحبهم إليه، وهو وصي أبيه، وولي عهده، وقد ولدته أمه وحده بلا أخت، وتزوج بأخت هابيل المقتول، وقد سمي شيث أي هبة الله لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل، ولما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده شيث وكان نبيا، الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه، وقد عاش سبعمائة سنة واثنتي عشرة سنة، والله أعلم.

يقول ابن إسحاق: لما حضرت آدم الوفاة عهد إلى شيث، وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات، وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك، ولأن كل الناس أهلكهم الطوفان إلا ذرية نوح كما أخبرنا الله ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (الصافات:٧٧)، ولما كان نوح من ذرية شيث فإنه يجعلنا نقول: إن شيثا هو أبو البشر جميعا بعد آدم عليه السلام، والله أعلم بذلك.

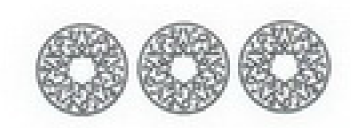
إدريس عليه السلام

وهو أول من ذكرت نبوته في القرآن الكريم بعد آدم عليه السلام ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مريم،٥٦-٥٧) ، وحسبه فضلا ثناء الله هذا عليه ، وهو النبي الثالث في عمود النسب الشريف بعد آدم عليه السلام وشيث على ما ذكره علماء النسب .

وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم ، وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة وثمانين سنة ، ويسميه بعض الكاتبين هرمس الهرامسة - أو هرمس الحكيم - وينسبون إليه علوما كثيرة كعلوم الفلك ، والهندسة ، وغيرها ، حتى إن بعض القدامى زعموا أنه هو الذي بنى الأهرام ! .

ومع عدم تصديقنا لما زعموه ، إلا أن ذلك يدل على تميزه ، فنحن نعلم الآن أن الناس إذا أعجبت بشخص نسبت إليه كل طريف أو عجيب ، وقد ورد في حديث الإسراء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قد لقيه في السماء الرابعة .

واختلفوا في أمر إدريس عليه السلام هل هو رسول أم نبي فقط.. والوارد في القرآن الكريم نبوته ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مريم،٥٦-٥٧)[1]، وهذا يجعل ما روي عن أن أول رسول بعد آدم عليه السلام هو نوح غير متعارض؛ لأنه يقال: شيث وإدريس نبيان، ونوح أول رسول نبي بعد آدم عليه السلام، فلا تعارض بهذا مع حديث الشفاعة يوم القيامة، فإن صح الحديث بأنه رسول فيكون الجمع بينهما بأن نص الحديث الذي رواه الطبراني والحاكم وابن حبان وصححاه: إن إدريس كان نبيا ورسولا، وأنه أول من خط بالقلم، والحديث عن أولية رسالة نوح بعد آدم عليه السلام مقيدة بأنه أول رسول بعد آدم عليه السلام إلى أهل الأرض يحارب الأصنام لأنها لم تكن قبله.



(١) وأجمع من يعتد بإجماعهم بأن إدريس نبي ورسول فلا عبرة بأي خلاف.

نـوح عليه السلام

هو نبي الله نوح بن لامك بن متوشلح بن أخنوخ (إدريس)، كان مولده بعد وفاة آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة كما ذكر ابن جرير وغيره، ولكن ابن حبان ذكر في صحيحه، قالوا: إنه على شرط مسلم: إن رجلا سأل النبي ﷺ: أنبيا كان آدم، قال ﷺ: **«نعم مكلم»**، قال فكم كان بينه وبين نوح: قال ﷺ: **«عشرة قرون»**[1].

---

(١) عن أبي أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله أنبيا كان آدم؟ قال ﷺ: **«نعم مكلم»**، وقال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال ﷺ: **«عشرة قرون»** حديث حسن. رواه ابن حبان في صحيحه (١٤/٦٩-٦١٩٠). والطبراني في الكبير (٨/١١٨-١١٩-٧٥٤٥). وقال الحافظ ابن كثير: هذا على شرط مسلم. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٢٨٨-٣٠٣٩) وغيرهم. قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، وصححه الذهبي. وفي رواية طويلة أخرجها أحمد من حديث أبي (٥/١٧٨-٢١٠٣٦). و (٥/١٧٩-٢١٠٤٢) و (٥/٢٦٥-٢١٧٨٥) وغيره من حديث أبي أمامة، وسنده ضعيف، وابن حبان في صحيحه (٢/٧٦-٧٧-٣٦١) وغيرهما من حديث أبي ذر وسنده هالك. والله أعلم.

ومثل هذا رواه البخاري عن ابن عباس قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، وإن كان ابن الأثير يقول: إنه يحتمل عشرة قرون على الإسلام، وقد يكون بعدها غيرها، أي يكون ما بينهما أكثر من ألف سنة، إن قلنا: إن القرن مائة عام، وإن أريد بالقرن الجيل، فيكون ما بينهما ألوف كثيرة لأن الأعمار كانت طويلة.

ولقد بعث نوح عليه السلام عندما عبدت الأصنام، وقد ذكر الله قصته مع قومه وقصة الطوفان والسفينة في القرآن الكريم في مواضع متعددة: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ * قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٣٧-٤٨).

وقد لبث فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاما كما ذكر القرآن ، واختلفوا في كم عاش قبل الرسالة ، وكم بقي حيا بعد الطوفان ، إلا أنه كان أطول الأنبياء عمرا ، وقد استوت سفينة نوح على الجودي ، والقصة طويلة ومعروفة رأينا أن نقف عند هذا الحد منها .



إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام

هو سيدنا إبراهيم الخليل نبي الله ورسوله، وأبو الأنبياء من بعد آدم عليه السلام، وكما قال عكرمة وابن كثير وغيرهم: هو أفضل الأنبياء بعد نبينا محمد ﷺ.

ويقال: إن إبراهيم اسم أعجمي معناه أب رحيم.

وقد بعث الله إبراهيم عليه السلام حين كان عامة أهل الأرض كفارا فأزال الله هذا الكفر، وأبطل الله به ذلك الضلال، حيث آتاه رشده في صغره، ثم ابتعثه رسولا، ثم اتخذه خليلا.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ (الأنبياء:٥١).

وقد رأينا أن نسوق قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كاملة لما فيها من الفائدة والعبر، وقد تم نقلها من أوثق مصادرها وأيسرها للفهم، وبما يتفق مع ما نص عليه كتاب الله الكريم إذ وردت قصة سيدنا إبراهيم في العديد من سور القرآن الكريم، وقد ذكر الله مناظرة إبراهيم لقومه في العبادتين الباطلتين، إذ ناظر البابليين في عبادتهم للأصنام، وناظرهم في عبادتهم للكواكب، وقص الله علينا ذلك.

ففي مناظرته عباد الكواكب جاء قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام:٧٥-٨٣).

وكانت حجته جلية لأن الذي يغشاه الأفول، ويغيبه الأفق ضعيف، عاجز، مغلوب، لا يصلح أن يكون إلها، وقد سلك حجته على طريقة الاستقراء والتتبع حتى أثبت ضعفها فبنى عليه أن الذي يعبد حقا هو الذي خلقها هي والسموات والأرض، والذي يملك وحده الضر والنفع لا يغيب ولا يقلب، وبدأ لهم بكوكب الزهرة، فلما أفل، ثنى بالقمر الذي هو في رأي العين أضوأ من الزهرة، فلما أفل ثَلَّثَ بالشمس التي هي أشد الأجرام المشهودة ضياء وسناء وبهاء، فلما أفلت بين أنها كلها عاجزة مسيرة مدبرة، وأن الذي يستحق العبادة حقا هو من خلقها، ودبرها، وقدرها، وسيرها، وأنها لا تنفع ولا تضر، وأنه لا يخافها، ولا يعبدها، ولا يبالي بها، وهذه مناظرته لأهل حران الذين عرفوا بعبادة الكواكب.

أما مناظرته لأهل بابل فكانت في عبادة الأصنام، وقد ذكرها القرآن الكريم في أكثر من موضع، وقد أبطل عبادتها قولا وعملا، وأما بالقول فقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ

آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ (الأنبياء: ٥١-٥٧).

وهنا يبدأ الإبطال العملي لهذه العبادة الباطلة فتقول بقية الآيات: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٥٨-٧٣).

وهنا نراه كسر الأصنام كلها وجعلها جذاذا إلا كبيرهم ليبين لهم عجزها عن ضر من يؤذيها، وعجزها عن الدفاع عن أنفسها فضلا عن أن تدفعه عمن يعبدونها، وإبقاء الكبير دون تكسير دلالة على غاية العجز لأنه لو كان إلها لحمى ما معه، ولأوقع الأذى بمن يعتدي عليهم، فإذا أضيف إلى ذلك أنه جعل الفأس في عنق هذا الكبير، استهانة به وإذلالا، فالفأس التي حطمت الأصنام معه، فلو كان يستطيع شيئا

لحطم بها إبراهيم، ثم ألقى إبراهيم التهمة عليه، وطلب أن يسألوه ويسألوهم، فأخذوا بالحجة العملية من صدمة الواقع أول الأمر، ثم نكسوا على رؤوسهم، وأعادوا اتهام إبراهيم وبطلان طلبه سؤال الآلهة المحطمة، فسقطوا في الشرك الذي نصبه لهم، وقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون، وهذا هو غاية المراد أن يقروا بعجزها حتى عن الشهادة عليه أو الشكوى مما فعله بهم، ولذلك كان جوابه تضجرا عنيفا من انغلاق عقولهم: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الأنبياء،٦٩).

فلما شهدوا بأنفسهم على عجزها، وسقطت حجتهم، لجأوا إلى العدوان بفعل ما عجزت عنه آلهتهم، فأقاموا له النار نصرا لها، فخذلهم الله ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء،٦٩).

ولما هيأه المشركوه لإلقائه في النار قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قيل له: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (آل عمران،١٧٣-١٧٤).

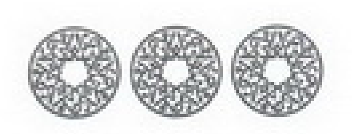
ولما ألقي في النار قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الأنبياء،٦٩).

وروى البخاري وغيره أن الوزغ كان ينفخ ليشعل النار على إبراهيم، ولذلك أمر النبي بقتل الوزغ، والضفدع كان يأتي بالماء ليطفئ النار فحرم قتله.

وهناك مناظرة ثالثة ذكرها القرآن الكريم، دارت بين إبراهيم ونمروذ الطاغية الذي ادعى الألوهية، وهو ملك بابل: النمروذ بن كنعان بن كوش، وكان أحد

ملوك الدنيا، فلما دعاه الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فأنكر وجود الله وادعى لنفسه الربوبية، فلما حاجه إبراهيم وعرفه أنه ليس بإله، وأن الله هو الذي يحيي ويميت، فقال النمروذ: أنا أحيي وأميت، وأنه إذا أتى برجلين استحقا القتل فقتل أحدهما فيكون أماته، وعفا عن الآخر فيكون أحياه، عند ذلك قال له إبراهيم: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فهل تستطيع أن تأتي بها من المغرب، إن كنت حقا إلها، فسكت ولم يحر جوابا، وبهت، وانقطعت حجته، وذكر الله هذه المحاورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:٢٥٨).

وقد قال بعضهم: إن هذه المناظرة كانت بعد خروج إبراهيم من النار ولم يكن لقي النمروذ قبلها. والله تعالى أعلم.



هجرة الخليل عليه السلام ورحلاته

بعد أن هجر إبراهيم دين قومه وشركهم، ونجاه الله من النار، خرج مهاجرا من بينهم إلى الله ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات:٩٩-١٠٠). فخرج ومعه سارة، ولوط الذي آمن به وكان ابن أخيه، وخرج معه ناحور، وامرأة ناحور واسمها ملكا إلى الشام، وعبر الفرات في طريقه - فسمي عبرانيا -، وقال بعضهم: نزل بحران، وقال بعضهم: بمكة، وقال آخرون: ببيت المقدس.

قالوا وكان هناك قحط فاتجه بسارة إلي مصر فتعرض لها ملك مصر هناك، فخاف إبراهيم عليه السلام لو علم أنها زوجته أن يقتله ليتزوجها، وكانت أجمل نساء عصرها، فقال لها: إن سألك عني فقولي: إنك أختي، ولما أراد ملك مصر أن يمسها، أبعدت يده فاعتذر إليها، وأهدى إليها هاجر، ونعما وأموالا كثيرة، والقصة رواها البزار مفصلة، ورواها البخاري مختصرة، ورواها أحمد أيضا، وهذا الجبار في مصر كان ملك الهكسوس العماليق. ثم رجع إلى الأرض المقدسة.

مولد إسماعيل عليه السلام

بعد زمن من إقامة إبراهيم عليه السلام في بيت المقدس لم تنجب سارة خلالها لإبراهيم ولدا تقر به عينه، فوهبت له جاريتها هاجر عسي أن يكون لهما منها ولد، فدخل عليها إبراهيم فحملت بإسماعيل.

إسماعيل الذبيح ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام

يذكر المؤرخون، وأهل السير، وكذلك أهل الكتب السابقة أن إبراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة، وأن الله استجاب له وبشره بذلك.. وأنه بعد هجرته ورحلته إلى مصر، وما جرى له ولسارة زوجه مع ملك مصر، عاش في بيت المقدس، ومرت عليه هنالك عشرون سنة ولم تلد سارة له ولدا، فوهبت له جاريتها هاجر، كما ذكرنا، فحملت منه.

ولما ولدت هاجر إسماعيل ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة وذلك قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة[1] -أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة فخر لله ساجدا شكرا لله على إجابته دعوته، وتكثر هنا التأويلات وتتعدد غير أنها جميعا لا تصمد أمام الحقيقة المطلقة وهي أن إسماعيل عليه السلام هو بكر أبيه إبراهيم وأنه هو الذبيح، وأن ما صرح به كتاب الله عز وجل هو القول الفصل.

وأمر الله إبراهيم أن يخرج بزوجته الحبيبة هاجر وابنه الوحيد إسماعيل إلى موضع الكعبة في مكة المكرمة حيث لا مأوى، ولا شجر، ولا ماء، ولا أنيس.

واستجاب إبراهيم لأمر الله كشأنه في كل ابتلاء وقع له في السابق واللاحق، وصبرت له سارة التي تمنت الطفل فلما جاء أبعد عنها فكوفئت بالبشارة بإسحاق ومن ورائه يعقوب وكان الإبعاد حلقة من حلقات إعداده للإمامة العامة التي ذكر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (البقرة:١٢٤).

حمل إبراهيم الرضيع إسماعيل وأمه هاجر حتى وضعها عند مكان الكعبة حيث أمره الله - ولم يترك لهما إلا جرابا من تمر وسقاء فيه ماء - في واد ليس فيه زرع، ولا ضرع، ولا ماء، ولا كن ولا أنيس، وتولى عنهما منصرفا يعالج وجد الأب المفارق لزوجته ووحيده الرضيع في تلك الظروف المهلكة، لا يكاد يردد النظر

(١) جاء الأمر كما ذكرنا بأن يخرج بزوجته الحبيبة هاجر وابنه الوحيد منها إسماعيل إلى مكة المكرمة إلى موضع الكعبة هناك حيث لا مأوى ولا شجر ولا ماء ولا أنيس كما مر وهذا هو الامتحان الثالث لإبراهيم فذهب بها عليه السلام ووضعهما هناك، قالت هاجر: أتتركنا في هذا المكان؟ فلم يجب فكررت السؤال ثلاثا فلم يجب فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، فكانت بعدها القصة العظيمة ونتيجتها منحة الله سبحانه لإسماعيل وأمه والمنحة الكبرى لإبراهيم (زمزم) وكان الامتحان الرابع الأمر بذبح إسماعيل.

إليهما لولا يقينه بوعد الله له وتسليمه له فيما أمر فقامت هاجر وتعلقت بثيابه وقالت: يا إبراهيم: أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفينا فلم يجبها، فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها، قالت له: «آلله أمرك بهذا قال: نعم، قالت: فإذا لا يضيعنا».

انطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ورفع يديه بالدعاء قائلا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم:٣٧).

وجعلت هاجر ترضع إسماعيل وتأكل من جراب التمر وتشرب من سقاء الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى من الظمأ ويتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه وهو على هذه الحالة حتى بلغت الصفا أقرب جبل رأته حولها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر وتدير فيه النظر هل ترى من أحد، فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها - أي شمرت عن ساقها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود مهرولة في بطن الوادي، حتى إذا جاوزته ثم أتت المروة تسلقت حتى قامت عليها ونظرت هل ترى من أحد فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات -قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«فلذلك سعي الناس بينهما»**. فلما أشرفت على المروة في سابع شوط من سعيها سمعت صوتا فقالت: صه[1] تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو قال: بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها: هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهي

(١) صه: اسم فعل بمعنى اسكت.

تفور بعدما تغرف (قالوا: كانت تجمع حولها من التراب والحصي مخافة أن يذهب الماء في الأرض وهي تقول: زمي زمي يا مبارك) ولهذا سميت «زمزم».

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«يرحم الله أم أسماعيل، لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا»**[1].

وكان مكان البيت (الكعبة) مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا (أي يبحث عن الماء ويحوم حوله) فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على الماء، وعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء.

فأرسلوا جريا، أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم.

قال ابن عباس: فألفت ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام (إسماعيل) وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم.. كما سيأتي.

---

(١) عن ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم، أو قال، لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا»**، رواه البخاري (٢٣٦٨) من حديث ابن عباس والفاكهاني في أخبار مكة (٦/٢) ورواه البخاري (٣٣٦٤) والإمام أحمد (٣٤٧/١-٣٤٨-٣٢٤٠) والنسائي في الكبرى (١٠٠/٥-١٠١-٨٣٧٩) وفي فضائل الصحابة (٨٣-٨٤) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٩/٣) وعبد الرزاق في المصنف (١٠٧/٥). والقزويني في التدوين في أخبار قزوين (١٠٣/١) وغيرهم وفيه قصة طويلة وللحديث روايات أخرى عند البخاري والنسائي وغيرهما.

قصة إسماعيل الذبيح عليه السلام

من هو الذبيح؟

النصوص الواردة في قصة الذبح هي أ فضل ما نحتكم إليه في بيان من هو الذبيح والرد على مزيفي الحقائق من يهود الذين أرادوا التهوين من شأن العرب وأبيهم إسماعيل حتى يفردوا أباهم نبي الله إسحاق بكل منقبة وفضل، حسدا منهم لما خص الله نبيه ورسوله إسماعيل بالبشارة به وله، وأنه بكر إبراهيم، والذي فداه الله بذبح عظيم يوم محنة الذبح، وبنائه الكعبة مع أبيه خليل الرحمن، وجهاده من أرسل إليهم، وأنه أبو الأمة المرحومة المجتباة حتى تمنى نبيهم الكريم موسى أن يكون منها، وأنه جد إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وخير خلق الله أجمعين، وحامل ختام الوحي إلى الناس أجمعين، هذا مع أن كتبهم حتى اليوم تنطق بأن الذبيح هو إسماعيل فعندهم نص يقول الله فيه لإبراهيم: اذبح ولدك البكر، وهم في نصوصهم يقرون بأن سارة عقيما، وأنها قدمت هاجر إلى إبراهيم عسى أن يكون لهما ولد منها، فإسماعيل ولد هاجر قطعا هو بكر إبراهيم، أما إسحاق جدهم فهو بكر سارة.

أما القرآن الكريم فيقول على لسان إبراهيم: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (إبراهيم، ٣٩) فذكر إسماعيل ثم إسحاق.. أي ذكرهما معا. وفي سورة الصافات ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ (الصافات،٩٩-١٠٦).

وواضح في الآيات السابقة أن الله تعالى يذكر عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا فبشره الله تعالى بغلام حليم وهو إسماعيل عليه السلام واستعمال الفاء في إجابة ربه لدعائه ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ ﴾ وهي تدل على الترتيب والتعقيب دون وجود حدث مماثل -فاصل- ومعلوم حتى في كتب أهل الكتاب أن إسحاق ولد بعد إسماعيل بثلاث عشرة سنة – وأن أول ولد له هو إسماعيل؛ لأنه ولد له علي رأس ست وثمانين سنة – وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنه ولده وبكره، ونجد في سرد الآيات السابقة من سورة الصافات أن الله قد بشره بولده البكر إسماعيل بعد أن هجر قومه، ثم تذكر الآيات مباشرة بضمير الغائب الذي يعود في اللغة على أقرب مذكور في الكلام قبله – أن هذا الغلام لما شب وصار يمكنه السعي في مصالحه، أخبره أبوه بأمر الذبح، وليس بين المقامين ذكر لمولود سواه: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ (الصافات،١٠٢). ولم يكن قد سبق وجود أو ذكر لإسحاق، ثم تسرد الآيات قصة الذبح والفداء وأنها كانت ابتلاء واختبارا لإبراهيم وإسماعيل – فصدقا مع الله فجازاهما بالفداء، وجعل لإبراهيم حسن الذكر في الآخرين.. ثم تأتي بعد ذلك البشارة بإسحاق، وأنه سيولد ويكون نبيا من الصالحين.

والآيات من سورة هود تذكر بشارة الملائكة لسارة بإسحاق، ومن ورائه أي من ذريته يعقوب بعد ذكر قصة لوط: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هود،٧١).

ونلاحظ ازدواج البشارة بميلاد إسحاق - ثم بأنه سيولد له ولد يسمى يعقوب، وهذا وعد من الله لا يتخلف أبدا - فكيف يتصور العقل ابتلاء إبراهيم بأن يأمره الله بذبحه مع يقينه بمقتضى البشارة السابقة وأنه سيعيش حتى يكبر ويصبح أبا ليعقوب - والآيات من سورة الصافات أنه أمر بذبح ولده عندما بلغ معه السعي - وليس بعد أن كبر وتزوج وولد له يعقوب - وسماه الله أي إسماعيل بالغلام الحليم - بينما يذكر إسحاق بأنه غلام عليم، وقصة الذبح جاءت في الآيات بعد ذكر الغلام الحليم وبلوغه سن السعي، وتكرر ذكر البشارة، بهذا الغلام العليم بعد ذكر قصة ذهاب الملائكة إلى قوم لوط في سورتي الحجر والذاريات ولم يرد ذكر الذبح فيهما - ففي سورة الحجر: ﴿ قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾ (الحجر،٥٣)، وذلك إخباره بما سيجري لقوم لوط، ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾ (الذاريات،٢٨).

أما سورة الصافات فيأتي سياق ذكر الغلام الحليم وبعده قصة الذبح بعد ذكر هجرة إبراهيم ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات،٩٩-١٠٢).

فالسياق غير السياق، والأحداث غير الأحداث، والزمان غير الزمان، والمكان غير المكان، والأشخاص غير الأشخاص، ولا أدري كيف يقع اللبس في شخص الذبيح مع كل هذه النصوص الصريحة الواضحة.

ونلاحظ في الآية الكريمة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (ابراهيم:٣٩) نلاحظ أنه قدم إسماعيل على إسحاق في الذكر، وذلك يؤكد أنه ولده البكر - وهو الذبيح، بل نلاحظ أنه ما جمع في آية قرآنية ذكر إسماعيل وإسحاق إلا ذكر إسماعيل أولا، ثم يعطف عليه إسحاق.

فإلى جانب الآية السابقة نجد آية ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ﴾ (البقرة:١٣٦).

وكذلك الآية: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (البقرة:١٤٠).

وكذلك الآية: ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ (البقرة:١٣٣)

وكذلك الآية: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ﴾ (آل عمران:٨٤).

والآية: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ﴾ (النساء:١٦٣).

وكلها نص في أن بكر إبراهيم هو إسماعيل الذي بشر به أولا، ووصف بالغلام الحليم، والثابت أن مكان الذبح وإقامة الذبح كانت بمكة، ولم يعش إسحاق إلا في الشام كما تذكر كتب التاريخ، وكتب التفسير، وكتب السنة، وكما يذكر ابن تيمية وابن القيم.

وهذا ما يرويه الحاكم في المستدرك[1] عن ابن عباس «**الذبيح إسماعيل**»، وابن عمر قال: «وفديناه بذبح عظيم» قال: إسماعيل عند ذبح إبراهيم الكبش.

---

(١) المستدرك: ٢/٤٣١-٣٦١٢.

ثم يسرد ابن كثير بقية قصة الذبح في تفسير بقية الآيات فيقول: وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ أي كبر، وترعرع، وصار يذهب مع أبيه، ويمشي معه قال ابن عباس ومجاهد: فلما بلغ معه السعي يعني شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل، ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾.

قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي، ثم تلا هذه الآية، وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى، وطاعة أبيه قال: ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ أي امض لما أمرك الله من ذبحي ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل، وصدق «إسماعيل» صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ أي فلما تشهدا، وذكرا الله تعالى، «إبراهيم على الذبح، وولده إسماعيل شهادة الموت».

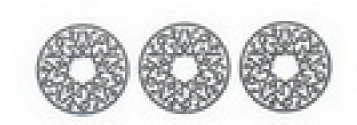
وقيل: أسلما يعني استسلما وانقادا، إبراهيم امتثل أمر الله تعالى، وإسماعيل طاعة لله ولأبيه، ومعنى تله للجبين «أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه»، قال ابن عباس: تله للجبين أكبه على وجهه، وكان على إسماعيل عليه السلام قميص أبيض، فقال له: يا أبت: إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فاخلعه عني تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ (الصافات،١٠٤-١٠٥).

فالتفت إبراهيم فإذا بذبح عظيم يفدي به الله سبحانه وتعالى إسماعيل عليه السلام كما جاء في الآية الكريمة يقول ابن كثير: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ (الصافات،١٠٤-١٠٥) أي قد حصل المقصود من رؤياك، وذكر السدي وغيره أنه

أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئا، بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس ونودي إبراهيم عند ذلك: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا ﴾ (الصافات:١٠٥).

وفي قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الصافات، ١٣١)؛ أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا – قال تعالى في هذا الموقف: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ﴾ (الصافات:١٠٦)، أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلما لأمر الله منقادا إلى طاعته ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (النجم:٣٧).

فتبارك الذي بيده الأمر وهو على كل شيء قدير.



إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام

كان إسماعيل بن إبراهيم عليما السلام نبي الله الذي سماه الله ﴿ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ (مريم،٥٤)، وكان رجلا فيه حدة، وكان يجاهد أعداء الله ويعطيه الله النصر عليهم والظفر بهم، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، قويا شديدا عنيفا على الكافرين في حين أنه كان حليما بالمؤمنين، وقورا، رحيما يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند الله مرضيا، وكان لا يعد بشيء إلا وأنجزه، فسماه الله تبارك وتعالى: ﴿ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾، وكان عليه الصلاة والسلام راميا ماهرا.

وروى عبد الرزاق عن ابن عباس، قال: مر رسول الله ﷺ بقوم يرمون فقال: **«رميا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا»**[1].

(١) رواه الإمام أحمد (١/٣٦٤-٣٤٣٤) من حديث سلمة بن الأكوع - والحاكم في المستدرك (٢/١٠٣-٢٤٦٤) وقال حديث صحيح على شرط مسلم وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم. وابن ماجه مختصرا: (٢٨١٥) من حديث ابن عباس - والله تعالى أعلم.

وفي تفجير زمزم لإسماعيل وأمه يروي الدارقطني والحاكم من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهي هزمة جبريل عليه السلام وسقيا الله إسماعيل عليه السلام»**.

وقد ورد في الحديث: **«إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»**[1].

وقد طهر الله ذلك النسب الشريف من سفاح الجاهلية، ولم يفضل بنو إسماعيل باللسان العربي فحسب إنما فضلوا لذلك بالأخلاق الكريمة، إذ هم أزكى الناس أخلاقا، وأطيبهم نفسا تدل على ذلك دعوتا إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (البقرة،١٢٨)، وبقوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (البقرة،١٢٩). والمقصود بالأمة هنا الأمة الإسلامية والمقصود بالرسول محمد ﷺ.

وبذلك فإن إسماعيل عليه السلام ومحمد ﷺ هما صفوة ولد إبراهيم عليه السلام.

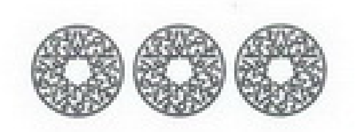
ومن خصائص إسماعيل عليه السلام أن نسله حظي بولادة خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد فكان فردا في ذرية إسماعيل ليس فيهم نبي سواه بينما تكاثر الأنبياء من نسل أخيه إسحاق من ذرية ولده يعقوب، ولقد كانت العرب على اختلاف

---

(١) رواه مسلم (٥٩٣٨-١-٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه. والترمذي (٣٦٠٥) وقال حديث حسن صحيح. والإمام أحمد (١٠٧/٤-١٦٥٣٨-١٦٥٣٩) وابن حبان في صحيحه (١٣٥/١٤-٦٢٤٢) والبيهقي في الكبرى (١٣٤/٧) (٣٦٥/٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٣١٧/٦) وأبو يعلى (٤٦٩/١٣-٤٧٨٥) وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (١٦٤/٢) والطبراني في الكبير (٦٦/٢٢-٦٧) والبخاري في التاريخ الكبير (٤/١) وغيرهم والله تعالى أعلم.

قبائلها من سيدنا إسماعيل عليه السلام، ولم يوجد من سلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيدهم، وفخر بني آدم في الدنيا والآخرة سيدنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم، القرشي، الهاشمي، المكي، ثم المدني صلوات الله وسلامه عليه، وحسبه وحسبنا أن لم تكن من هذا الفرع الشريف والغصن المنيف سوى هذه الجوهرة الباهرة النادرة، والدرة الزاهرة، وواسطة العقد الفاخرة، وهو السيد الذي يفتخر به أهل الجمع، ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة، وقد ثبت عنه في صحيح مسلم.. أنه قال: «**سأقوم مقاما يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم**» فمدح إبراهيم أباه مدحة عظيمة في هذا السياق، ودل كلامه على أن إبراهيم أفضل الخلق بعده عند الخلاق في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

ونرى أن تفرده ﷺ وحده بالنبوة في فرع إسماعل الصادق الوعد عليه السلام على اختصاصه بما لا يشاركه فيه أحد من ولد إسماعيل، وهذه الأبوة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه هي فخر إسماعيل عليه السلام، كما هي فخر العالمين أجمعين.



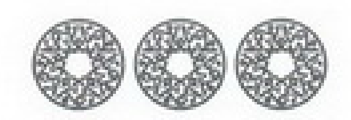
آباء سيد البشر محمد ﷺ من آدم إلى إسماعيل عليه السلام

كما ذكرنا سابقا فإن النسب الصحيح المتفق عليه في آبائه ﷺ، ينتهي إلى جده عدنان، وما بعد ذلك إلى آدم عليه السلام فيه اختلاف واضطراب في عدد الآباء وضبط بعض الأسماء، ولهذا كان ﷺ إذا انتسب ينتهي إلى عدنان، ولم يتجاوزه، ويقول: «**كذب النسابون**»، أي فيما بعد عدنان من الأسماء، لكن وقع الاتفاق على أن عدنان ينتهي إلى إسماعيل عليه السلام، وما بين عدنان وآدم من الأسماء المثبتة في عناوين التراجم الآتية، ننقلها من المصادر المتوافرة ولا نعلق عليها، وإن كان هناك مجال للترجيح وإحكام العقل فإننا نأخذ به من غير أن نؤكد للقارئ الكريم بحتميته، أو صدقه، إنما هو على الرواية، ومرة ثانية نقول: إن هذا الموضوع ما كان ليأخذ منا هذا الاهتمام اليوم لولا ما تطالعنا به هذه الهجمات اليهودية اليوم كما كانت تطالعنا بالأمس، ونحن نعلم أن سيدنا محمدا صلوات ربي وسلامه عليه هو فخر بني البشر على مر

العصور والدهور، به يفتخر الأجداد السابقون، كما يتباهى بالانتساب إليه وأتباعه المتأخرون.

وقد رأينا إثبات هذا الفصل نقلا من الروايات التي وصلت بنا إلى نسبه الشريف من عبد الله بن عبد المطلب إلى آدم مرورا بالأطهار الأخيار نضعه بين أيدي من يريد الاستزادة بعد أن جهدنا في تخليصه مما لا يتفق مع عقيدتنا قصدنا بذلك توحيد المنهل، وصفاءه لوارده.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



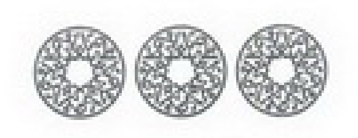


النبي آدم أبو البشر
عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

كنيته أبو البشر، وسمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، أي وجهها، أو لأنه آدم اللون أي أسمره، واختلف في هذا الاسم هل هو أعجمي أم عربي، فقال الجمهور: هو أعجمي، ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وقال أبو البقاء: هو عربي مشتق من أديم الأرض، أو من الأدمة وليس بأعجمي لأنه مشتق، والأعجمي لا اشتقاق له، ومنعه من الصرف للعلمية، فإن عدنان الذي توقفنا عنده هو عدنان بن أدد بن مقوم ابن ناحور بن تيرح ابن يعرب بن يشجب بن قيدار بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ابن تارح ابن ناحور بن ساروخ بن راعو بن فالخ ابن عيبر بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، ابن لامك بن متوشلح، بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام، (عند الأكثرين) ابن يرد بن مهليل بن قينين، ويقال قينان بن يانشر ابن شيث بن آدم عليه السلام. وفي هذا روايات مختلفة والله أعلم.

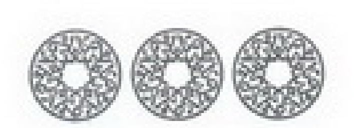
وتعددت الآيات القرآنية فيما خلق منه آدم عليه السلام، ففي موضع خلق من تراب، وفي موضع آخر من طين لازب، أي لازم يلصق باليد، وفي موضع من حمأ مسنون، أي من طين أسود، وفي موضع من صلصال كالفخار، أي طين يابس يشبه الفخار، وهو الإناء يصنع من الطين ثم يشوى بالنار، وإن كلا منهما يسمع له صلصلة، أي صوت إذا نقر، ويمكن الجمع بين ما في هذه المواضع بأن يقال: إن هذه الألفاظ ترجع كلها إلى أصل واحد، وهو التراب الذي هو أصل الطين، فأعلمنا الله عز وجل أنه خلقه من تراب جُعل طينا، ثم ترك حتى صار حمأ مسنونا، ثم صوره كما يصور الإبريق وغيره من الأواني، ثم ترك حتى يبس، وصار في غاية الصلابة كالخزف الذي إذا نقر صَوَّت صوتا، يعلم منه هل فيه عيب أو لا، ثم نفخ فيه الروح فالمذكور في الموضع الأخير، آخر تخليقه عليه السلام، وفيما عداه تارة مبدؤه وتارة في أثنائه.

وهذا ما أشار إليه النووي في تهذيب الأسماء واللغات، ووضحه الخطيب الشربيني في تفسيره، وكان خلقه عليه السلام يوم الجمعة، فيما بين صلاة العصر إلى الليل، ولما أن خلقه الله تعالى ونفخ فيه الروح أسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، واصطفاه وكرم ذريته، وعلمه جميع الأسماء وغيرها مما لم يعلمه الملائكة المقربين، ثم أهبطه إلى الأرض هو وزوجته حواء التي خلقها الله له وهو في الجنة، وجعل من نسلهما الأنبياء، وأنزل عليه عشر صحائف، وأطال جسمه حتى بلغ ستين ذراعا، وعمره حتى بلغ ألف سنة، وبعد أن ولدت له حواء تسعة وثلاثين ولدا في عشرين بطنا، في كل بطن ذكر وأنثى، إلا «شيثا»، فإنها ولدته منفردا، والله أعلم بذلك.



حواء أم البشر عليها السلام

خلق الله سبحانه وتعالى حواء -عليها السلام- من ضلع آدم الأيسر الأصغر، وقيل: سميت حواء بالمد لأنها خلقت من شيء حي، واختلف في الوقت الذي خلقت فيه، فقيل: خلقت قبل دخول آدم الجنة، ثم أدخلا جميعا، والصحيح أنها خلقت في الجنة كما سبق في ترجمة آدم عليه السلام، وبه قال ابن عباس وابن مسعود، ونحسب أنه لا حاجة بنا للاسترسال بنقل ما هو متداول ومعروف من أمر سيدنا آدم وحواء فحسبنا القول إنهما أول الخلق، وإننا ننتسب إليهما.





النبي شيث بن آدم أبي البشر
عليهما الصلاة والسلام

كان ميلاده عليه السلام، بعد أن قتل قابيل أخاه هابيل بخمس سنين، وقيل بخمسين سنة وقد مضى لآدم من العمر إذ ذاك مائة وثلاثون سنة، وقيل مائتان وخمس وأربعون سنة، وفي هذا روايات نحسب أنها لا تقدم ولا تؤخر، وقد كان أجود أولاد أبيه، وأجملهم وأفضلهم وأشبههم به، وأحبهم إليه وكان وصيه، وولي عهده، وقال بعضهم: بأن شيث تعني هبة الله.

وقيل: إنه أول من لبس القلنسوة والنعلين.



أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام

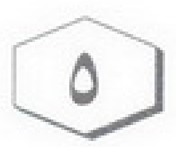
جاء في الكتب أنه كان وصي أبيه، ولما مات أبوه قام بسياسة الملك بعده، عاش تسعمائة وستة وستين (٩٦٦) عاما وضبط اسمه (أنوش) بوزن صبور، ومعناه الصادق، ويقال فيه: يانش بالتحتية والنون والمعجمة بوزن فاعل.

وقيل: هو أول من علم الكتابة والحساب والسنين.



قينان بن أنوش بن شيث

قينان ويقال فيه : قينين بفتح القاف فيهما ، ومعناه المستوي وهو وصي أبيه ، وكان رجلا تقيا صالحا وقيل : إنه عاش سبعمائة وعشرين (٧٢٠) عاما .



مهلائيل بن قينان بن أنوش

مهلائيل بوزن جبرائيل ، ويقال فيه : مهليل ، بفتح الميم وسكون الهاء وبين اللامين مثناة تحتية ، ومعناه المدح ، تذكر الروايات أنه كان رجلا فاضلا ، قام بالأمر بعد أبيه ، وهو وصيه ، ويقال : إنه عاش تسعمائة وخمسة وستين (٩٦٥) عاما .



اليارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش

اليارد ويقال : فيه اليرد بمثناة تحتية ثم راء ساكنة ثم دال مهملة ومعناه الضابط ، وهو وصي أبيه وكان تقيا صالحا . كما تقول الروايات . وفي بعض الروايات : وإليه انتقل النور المحمدي .



أخنوخ بن اليارد بن مهلائيل بن قينان

أخنوخ بوزن عصفور، ويقال فيه: خنوخ بوزن تبوك، وهو النبي إدريس عليه السلام، ثالث الأنبياء، سمي إدريس لكثرة درسه في الصحف على ما قيل، بعثه الله إلى بني قابيل بن آدم، وهو أول من خاط ثياب القطن ولبسها وكان الناس من قبله يلبسون الصوف، والجلود، وقبل كان الناس يلبسون الأردية بغير خياطة، ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مريم،٥٧).



متوشلخ بن أخنوخ (إدريس عليه السلام)

تذكر الروايات أن أباه قد استخلفه بأمر الله قبل رفعه إلي السماء، وعاش تسعمائة واثنين وثمانين (٩٨٢) عاما. والله أعلم.

وضبط اسمه في رواية ثانية (متوشلح).



لمك بن متوشلخ بن أخنوخ (إدريس عليه السلام)

ضبط بفتح اللام وكسر الميم وفتحها، ويقال فيها: لامك بفتح اللام والمد، وقيل: إنه كان رجلا تقيا صالحا وأنه عاش ثمانمائة (٨٠٠) عام.



النبي نوح بن لمك بن متوشلخ ابن النبي إدريس عليه السلام

كان عليه السلام أول نبي بعد إدريس عليه السلام، وقد نسخت شريعته شريعة آدم عليه السلام، وعذبت أمته بدعوته، وقيل: لقب بنوح لكثرة ما ناح على نفسه، وسبب نوحه دعوته على قومه بالهلاك، ومراجعته ربه في شأن ابنه كما وردت قصته في سورة هود.

وكان عليه السلام نجارا بعثه الله إلى قومه يدعوهم إلى عبادته فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، صابرا على أذاهم صامدا لاستهزائهم، وقومه هم ولد قابيل بن آدم عليه السلام، ومن تابعهم من ولد أخيه شيث بن آدم، وكانوا قد كثروا في الأرض وأكثروا فيها الفساد، وعبدوا الأصنام، واتخذوها آلهة يرجون منها الخير، ويستدفعون بها الشر، لا سيما أصنامهم الخمسة: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، فإنهم يردون كل شيء في الحياة إليها، فدعاهم نوح عليه السلام وكان رجلا فصيح اللسان، واضح البيان، رزين العقل والرأي، فأعرضوا عنه فأنذرهم العقاب فعموا

وصموا، عندما رغبهم في الثواب ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (نوح:٧).

ولما كان عليه السلام قد رزقه الله صبرا على الجدل، وقدرة على تصريف الحجج، وبصرا بمسالك الإقناع، لم يفتر في دعوتهم، ولم يضعف بإيمانهم رجاؤه، وأخذ يتفنن في دعوتهم، ويجتهد في إبلاغ الرسالة إليهم، ودعاهم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، ووجه نظرهم إلى سر الوجود، وإبداع الكائنات، ليل داج وسماء ذات أبراج وقمر يسبح، وشمس تسطع وأرض فجرت خلالها الأنهار، وأنبتت فيها الزروع والثمار، يتحدث عن كل هذا بلسان فصيح، وينطق ببرهان صحيح، عن إله واحد وقدرة فذة عجيبة، ولم يزل كذلك يناضل ويساجل، ويقيم الحجج ويبسط البراهين حتى آمنت له شرذمة قليلون، وصدقوا برسالته، أما الذين طبع الله على قلوبهم وسبقت لهم الشقوة فهم الأكثرون، وقصته مع قومه معروفة ومفصلة في كتاب الله عز وجل وردت في أكثر من سورة لأهميتها، وقد ذكر في (أنبياء في عمود النسب الشريف) وهو أبو البشر لأن من توالد على الأرض جميعا كانوا ممن حملهم معه في السفينة بعد أن غرق من سواهم جميعا.



سام بن نوح عليه السلام

بالسين المهملة هو أوسط أولاد أبيه، وقيل: بكره، ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، وهو وصي أبيه، فيما يرجح، وإليه ينتهي نسب العرب، والفرس، والروم... أما أخواه حام ويافث فالأول منهما ينتهي إليه نسب السودان، والبربر والقبط، والثاني ينتهي إليه نسب يأجوج ومأجوج والترك. والله أعلم.



أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام

هو بهمزة مفتوحة، فراء ساكنة، ففاء مفتوحة، فمعجمات الأولى ساكنة، والثانية مفتوحة، وقيل: معناه بالسريانية مصباح مضيء، قام بالأمر بعد أبيه سام، كما تذكر الروايات والله أعلم.



شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام

ضبطه بإعجام أوله وآخره، بوزن فالج ومعناه الوكيل، قام بالأمر بعد أبيه، وعاش أربعمائة وثلاثين عاما (٤٣٠). والله أعلم.

١٤

النبي هود عليه السلام ابن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام

اسمه عابر بألف بعد العين المهملة، وسماه العراقي عيبر بياء بعد العين بوزن جعفر، وهو النبي هود بن عبد الله بن رماح بن الجلود بن عابر بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام، والمشهور أن هودا كمحمد وصالح وشعيب وهذه الأسماء مصروفة، وأنها تستثني من قولهم إن أسماء الأنبياء ممنوعة من الصرف، ولكون هذه الأربعة عربية لم يكن فيها من موانع الصرف غير العلمية، والعلمية وحدها لا تمنع الصرف بخلاف أسماء بقية الأنبياء. وقيل إن هوداً كشيث ونوح ولوط أسماء عجمية، لم تمنع من الصرف لفقد شرط المنع العجمية، وهو الزيادة على ثلاثة أحرف، ويؤيد هذا القول ما يقال من أن العرب من ولد إسماعيل عليه السلام، وما كان قبل ذلك فليس بعربي، وهود عليه السلام قبل إسماعيل عليه السلام فهو عجمي، لكن ما ورد من أن إسماعيل عليه السلام، تعلم أصول العربية من جدهم حين سكنوا مكة مع أمه يدل على وجود العربية قبله، والمحقق أن العرب والعربية كانا من العصور الأولى الموغلة في القدم، والعرب على ثلاثة أقسام، عرب عاربة وتسمى العرب البائدة، وهم عاد وثمود وغيرهم من أهل العصور الأولى، وعرب متعربة وهم من بعدهم من قبائل قحطان، وعرب مستعربة وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليهما السلام-، وهود عليه السلام هو أشبه ولد آدم به، وكان تاجرا من صميم قومه وأشرافهم، أرسله الله إلى عاد، قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ (الأعراف:٦٥)، وعاد في الأصل

اسم جدهم عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح، وهو أول من ملك في العرب وطال عمره، وكثر ولده حتى قيل: إنه عاش ألفا ومائتي سنة، ثم قيل للأولين منهم عادا الأولى، ولمن بعدهم عادا الأخيرة وكانوا يقيمون بالأحقاف، قال الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ ﴾ (الأحقاف:٢١)، والأحقاف واقعة بين اليمن وعمان من البحرين إلى حضرموت، وقيل: المراد بالأحقاف جبال الرمل أي الجبال الموجودة في الرمل المعروفة بالبحر السافي شمال حضرموت، وبسبب قربها لحضرموت قيل لحضرموت: وادي الأحقاف، هذا هو الذي عليه أكثر المؤرخين، وكانت عاد حينما أرسل الله إليهم أخاهم هودا عليه السلام في رغد من العيش، ومنحهم الله بسطة في الجسم، وقوة في أبدانهم، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، ولكنهم لم يفكروا في مبدأ هذا الخلق، ولم يحاولوا التعرف إلى مصدر هذه النعم، وغاية ما وصلت إليه عقولهم أن اتخذوا أصناما لهم آلهة يعنون لها بجباههم، ويعفرون في ثراها خدودهم، إلى آخر ما هنالك من قصتهم المتداولة في كتب التفسير.



١٥
فالخ ابن النبي هود عليه السلام

بالخاء المعجمة، وقيل: بالجيم، وقيل: بالغين المعجمة، كان على شريعة أبيه.



أرعواء بن فالخ ابن النبي هود عليه السلام

عاش ثلاثمائة وستين سنة (٣٦٠) من بعد أبيه فالخ يأمر بعبادة الله -تعالى- .

١٧

ساروخ بن أرعواء ابن فالخ ابن النبي هود عليه السلام

هو بسين مهملة فألف فراء مضمومة آخره معجمة ، وقيل : بإعجام أوله وآخره ، ويقال فيه شاروع بإعجام أوله وإهمال آخره ، يقال إنه عاش مائتين وسبعين سنة (٢٧٠) ، وقيل أكثر من ذلك . والله أعلم .

١٨

ناحور بن ساروخ بن أرعواء ابن فالخ ابن النبي هود عليه السلام

ناحور على وزن فاعور، نون فألف فحاء مهملة فواو فراء.



تارح بن ناحور بن ساروخ ابن أرعواء بن فالخ

تارح بوزن مالك بالحاء المهملة، ويقال المعجمة، وتارح هو أخو آزر الذي هو أبو إبراهيم عليه السلام، بنص القرآن الكريم، وإن من قالوا: إن تارح أبو إبراهيم عليه السلام حجتهم في ذلك أن العرب تسمي العم أبا لاقتناعهم بالقول السائد «إن آباء الأنبياء كلهم مؤمنون» إلا أن هذا كلام منقول وليس بحديث، ونحن نرى أن تارح هو عم إبراهيم عليه السلام، والعرب تسمي العم أبا كما ذكرنا، وبه احتج من قال بذلك، والله أعلم.



النبي إبراهيم عليه السلام ابن تارح ابن ناحور بن ساروخ بن أرعواء

إبراهيم اسم سرياني معناه بالعربية أب رحيم، سمي به خليل الله عليه السلام لمزيد رحمته، وفي هذا الاسم لغات أشهرها إبراهيم، والثانية إبرهم، بكسر الهاء وفتحها وضمها، وقرئ بأولى هذه الثلاث، وأخيرتهن في الشواذ، وجمعه أباره عند قوم، وعند قوم براهم، وقيل: براهمة، وقيل: هو مشتق من البرهمة وهي شدة النظر.

وقد ورد ذكر إبراهيم عليه السلام مفصلا في كثير من سور القرآن الكريم، وقصته مع قومه معروفة وقد ذكرناه في (أنبياء في عمود النسب الشريف) كما مر معنا سابقا.



النبي إسماعيل بن النبي إبراهيم عليهما الصلاة والسلام



قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام

اسمه قيدار بن إسماعيل، وسماه العراقي نابتا بالنون الموحدة والفوقية على وزن فاعل، وقيل اسمه نبت بحذف الألف وسكون الموحدة، وفي بهجة المحافل للعامري، اسمه قيدار بن نابت بن إسماعيل وعلى هذا فيكون إسماعيل عليه السلام جده لأبيه.

وجاء من قيدار عدنان الذي تحدثنا عنه، والذي إليه ينتهي نسب سيدنا محمد رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وبذلك نكون قد وضعنا القاريء الكريم على ما يسر الله جمعه من نسب سيد المرسلين صعودا منه إلى عدنان، وابتداء بآدم عليه السلام وانتهاء بعدنان. نسأل الله أن يجعل في هذا الفائدة، وهو من وراء القصد وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين.

الفواطم والعواتك
اللاتي ولدن رسول الله ﷺ

واستكمالا للفائدة التي رجونا أن تتحقق لأجيالنا من هذا الكتاب، وبعد أن تعرفنا على أجداده صلوات ربي وسلامه عليه، ووقفنا عند نسبه الشريف رأينا أن نقف عند الأمهات الطاهرات اللواتي هن جداته من الفواطم والعواتك.

الفواطم: جمع فاطمة، والعواتك جمع عاتكة، والعاتكة في كلام العرب: الطاهرة، ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات.

فأم عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم، وأم جدتها من قبل أمها عاتكة بنت عبد الله بن واثلة بن ظرب..

وأم عبد الله بن واثلة فاطمة بنت عامر بن ظرب.

وأم عمران بن مخزوم سعدى، وأمها عاتكة، وأم سعدى عاتكة.

وأم هاشم بن عبد مناف بن قصي عاتكة.

وأم هلال بن فالج بن ذكوان فاطمة .

وجدة كلاب أم أمه فاطمة .

وأم قصي بن كلاب فاطمة .

وجدة عبد مناف بن قصي يعني أم أمه فاطمة .

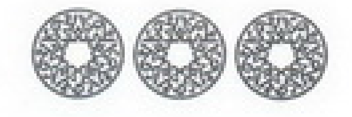
وجدة كعب يعني أم أمه عاتكة .

وأم لؤي بن غالب عاتكة .

وأم غالب بن فهر ليلى وجدتها يعني أم أمها عاتكة .

وعاتكة بنت عامر بن الظرب من أمهات النبي ﷺ .

وقد عد ابن سعد بالطبقات العواتك ثلاث عشرة والفواطم وهن عشر .



أمهات آباء الرسول ﷺ

أم عبد الله فاطمة المخزومية .

وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو من بني النجار والنجار منسوب إلى الخزرج.

وأم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة . .

وأم عبد مناف بن قصي حبى بنت خليل . .

وأم قصي بن كلاب فاطمة بنت سعد . .

وأم كلاب بن مرة هند بنت سرير . .

وأم مرة بن كعب مخشية بنت شيبان . .

وأم كعب بن لؤي ماوية بنت كعب . .

وأم لؤي بن غالب عاتكة بنت يخلد . .

وأم غالب بن فهر ليلى بنت يخلد..

وأم فهر بن مالك جندلة بنت عامر...

وأم مالك بن النضر عكرشة بنت عدوان..

وأم كنانة بن خزيمة عوانة وهي هند بنت سعد..

وأم خزيمة بن مدركة سلمى بنت أسلم..

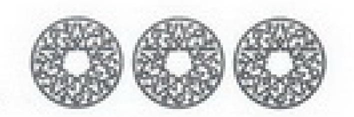
وأم مدركة بن إلياس ليلى وهي خندف بنت حلوان.

وأم إلياس بن مضر الرباب بنت حيدة بن معد بن عبد مناف.

وأم مضر بن نزار سودة بنت عك..

وأم نزار بن معانة بنت جوشن..

وأم معد بن عدنان مهدد بنت اللهم..



فهرس الموضوعات

الموضــوع | الصفحــة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

